مختارات من روائع الشوقيات

للمدارس

شعر: أحمد شوقي

الكتاب: مختارات من روائع الشوقيات

الشاعر: أحمد شوقي

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

شوقي ، أحمد

مختارات من روائع الشوقيات / الشاعر: أحمد شوقي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٤٨ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولي: ٥ – ٩٩٥ – ٤٤٦– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٩٧١٤ / ٢٠١٩

مختارات من روائع الشوقيات

مقدمة

كان الشعر في مصر قبل أمير الشعراء أحمد شوقي يجري على الأسلوب القديم، فقد رفع الشاعر محمود سامي البارودي لغته، وأحكم نسجه وتأليفه، فكان بريئاً من التكلف، ولكنه لم يبعد به عن التقليد في التعبير والتفكير، شأنه شأن غيره من رجال القرن التاسع عشر ؛ فكان لشوقي فيه فضل المبتكر المجدد على قدر ما أتيح له الابتكار والتجديد، وكان له مذهب في تعابيره وصوره وأغراضه انتقالاته ترسّمه فيها غير واحد من الشعراء الذين عاصروه، فكانوا له أتباعاً ولم يدركوه.

ولد شاعرنا في مصر (١٦ أكتوبر ١٨٦٨م) ومقاليد الأحكام بيد الخديوي إسماعيل، وكانت عوامل النهضة بعد مُحَمَّد علي قد تقاعست، ولقيت جفوة من الأميرين عباس وسعيد، فتدارك الأمر، ونشر العلم، وفتح المدارس المختلفة ونظَّمها تنظيماً حسناً، واستقدم لها أمهر الأساتذة ، وجعل اللغة العربية أساساً للتعليم، فرفع مستواها، وجدد إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، وبسط كفه للأدباء والشعراء والمفكرين ، وحثهم على العمل، فألَّفوا وترجموا ونشروا الكتب القديمة. وفي عهده هاجر إلى مصر جمهرة من الأدباء اللبنانيين، فرأوا مجالاً رحباً لأقلامهم وذكائهم، فشغلوا الدواوين وأثاروا تيَّاراً أدبياً بما أنشأوا من الجرائد والمجلات وبما نقلوا

وصنّفوا من الكتب، وكذلك الأجانب الغربيي، هبطوا وادي النيل وفتحوا المدارس الخاصة، فضلاً عن المدارس الأميرية.

نشأ شوقي وترعرع في هذا الجو من النهضة الفكرية والتعليمية وشهد الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي وهو في الرابعة عشرة من عمره، ورافق ما مر بمصر بعدها من الأحداث السياسية والاجتماعية، والثورات الوطنية، فجاء شعره ناطقاً بلسان عصره مصطبغاً بشتى ألوانه.

ولم يكن له بالعرب من صلة في النسب، فأبوه علي بك ابن أحمد شوقي بك كردي الأصل، وأمه تركية، وجدته لأبيه شركسية، وجدته لأمه يونانية، والبيئة المصرية يومئذ عربية تركية، وإنما هو عربي اللسان والبيان. وكان أبوه مسرفاً مبذراً أتلف ماله، فتعهدته جدته اليونانية بالرعاية والتربية وهو في المهد، وكانت من وصيفات دار الإمارة، فأدخلته القصر، ودب طفلاً بباب الخديوي إسماعيل. وما بلغ الرابعة من عمره حتى أدخل المدرسة، فثابر على التحصيل، حتى أنهى دروسه، ثم التحق بمدرسة الحقوق مدة سنتين، ثم التحق بقسم الترجمة سنتين أخريين، ونال الإجازة، فبعثه الخديوي توفيق إلى فرنسا ليدرس الحقوق والأدب، فسافر سنة ١٨٨٧ فتلقى علومه العالية في مونبلييه وباريس، وشيطان الشعر يومئذ يطوف به ويستهويه، فخطر له أن يحاول الفن التمثيلي، فنظم قصة علي بك الكبير باكورة مآسيه، وبعث بها إلى أميره توفيق، فلقي منه الثناء والتشجيع. ولبث في باريس إلى سنة ١٨٩١، فعاد إلى القطر المصري بعد أن قام برحلات زار بها انجلترا وجنوبي فرنسا والجزائر.

وانتقلت إمارة مصر سنة ١٨٩٢ إلى عباس الثاني بعد موت أبيه، فتعهد برعاية" شوقي" كما كان يتعهده والده. فلقي الحظوة عنده وقد استوثقت شاعريته أو كادت، فانتدبه سنة ١٨٩٤ إلى مؤتمر المستشرقين في جنيف، وهو في السادسة والعشرين من سنه، فألقى فيه قصيدته الطويلة "كبار الحوادث في وادي النيل" وهي من أبدع قصائده ألمّ فيها بتاريخ ديانات المصريين القدماء، والأديان الثلاثة التي جاء بها موسى والمسيح ومُحَمَّد.

ويبدو أن شوقي كان ينزع في أول عهده إلى الإغراض الجديدة، فقد رأيناه في فرنسا يطرق باب الشعر التمثيلي، ونراه الآن في سويسرا يروض القصص التاريخي وأساطير القرون، ثم نجده في مصر يتوفر على الشعر التعليمي للأطفال من أناشيد وطنية و مدرسية، ومن أساطير على لسان الحيوان متشبهاً بلافونتين. ويستنكر المدح ويأسف أن يُتخذ الشعر حرفة للتكسب. وقد أعرب عن هذا الرأي في مقدمة ديوانه الأول، ونعى على الشعراء الذين يضيعون شعرهم بالمديح، ولكنه اعترف بأنه ينتهي عن خلق ويأتي مثله، واعتذر بقوله أنه قرع أبواب الشعر، ولم يجد أمامه إلا دواوين لا مظهر للشعر فيها، وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء. والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عالٍ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الأسمى، فما زال يتمنى هذه المنزلة حتى بلغها، فجعلهاالخديوي عباس شاعره الخاص ورئيسا للقسم الفرنجي في حاشيته، فانصرف إلى المدح الذي يمقته ويجد به غضاضة على الشعر وأهله، وأصابه ما أصاب شعراء العرب من قبل: حُظوة عند الأمراء، ورزق

واسع، وشاعرية مقيدة بالمديح وما يشبه المديح. وأعرض عن الأغراض الطليقة التي حمل نفسه عليها في أول أمره وقنع من دنياه بأن يكون:

شاعر العزيز وما

بالقليل ذا اللقبُ

وجميع ما جهز له من الشعر في القرن التاسع عشر فنشره في الديوان القديم من الشوقيات، وهي منظوماته من سنة ١٨٨٨ إلى سنة ١٨٩٨، وفيها الأدب والتاريخ والمدح والرثاء والحكايات والخصوصيات؛ وأكثرها ظاهر التقليد بيَّن الغثاثة.

وتزوج أحمد شوقي وهو في منتصف العقد الثالث فأفاد من زوجته ثروة ضخمة فأصبح من كبار الموسرين، ورزق ثلاثة أولاد صَبِيَّة وصبيين.

وكان له من النفوذ في القصر ما استرعى إليه أنظار ذوي الحاجات فقصدوه يلتمسون وساطته، ومنهم طلاب الرتب والأوسمة، فدرّت عليه منهم هدايا وعطايا، فكان له منها مورد عذب.

وكان الشاعر إذا مدح عباساً يغالي في مدحه، متزلفاً إليه، ويرى أن الدنيا في عهده بخير وسلام، فما يبصر من نافذة عابدين صرعى البؤس، ولا يسمع أنين الشقاء، ولا يلمس جراحات الشعب المسكين، فحسب البلاد أن يطلّ عليها عباس لتشرق ربوعها، وتخصب أرضها وحقولها:

وقيل:

ابن رب النيل! فافترَّت القرى،

وناجى الثرى نعليك يستوهب الخصبا

ويذهب إلى الأستانة فيحظى عند السلطان عبد الحميد، وينزل ضيفاً في قصره، فيضفي عليه السوابغ من مدائحه، ولا يتورع من الإفراط في تمويه الحقيقة، فيجعل عصره خير العصور على الرعية، ويشبهه بعمر بن الخطاب في عدله، لأنه لم يبصر من نافذة يلدز مصرع الدستور، ولا سمع أنين ضحايا البوسفور، ولا لمس جراحات الشعب المقهور:

عمرٌ أنت بيدَ أنك ظلٌّ

للبرايا، وعصمة، وسلام

ما تتوجت بالخلافة حتى

تُوَّج البائسون والأيتام

فقد كان شوقي في حياته الأرستقراطية بعيداً عن الشعب كل البعد، قريباً من ذوي السلطان كل القرب، ينطق بلسان الرعاة ولا ينطق بلسان الرعية، إلا إذا اجتمعت الأمة وأولي أمرها على بعض الشؤون التي يظهر تأثيرها فيهم على السواء، وأكثر ما يكون ذلك عندما تكون البلاد غرضاً لسهام الأجانب في السياسة أو في الحروب، فيتناسى الشعب في مصر أو في الدولة العثمانية بؤسه وجور حكامه، فينضم إليهم ساخطاً معهم على

الأجنبي، متألماً لألمهم، مبتهجاً لانتصارهم. فإذا بكى شوقي أو غنى في مثل هذه الحال، فقد حق له أن يقول:

كان شعري الغناء في فرح الشرق،

وكان العزاء في أحزانه

فقصيدته التي خاطب بها اللورد كرومر سنة ١٩٠٧ على إثر الحفلة التي أقيمت لوداعه في ملعب الأوبرا، تنطق بلسان صاحب العرش ولسان الأمة المصرية:

أيامكم أم عهد إسماعيلا،

أم أنت فرعون يسوس النيلا؟

وكذلك قصيدته "الأندلس الجديدة" التي قالها بعد سقوط أدرنة في أيدي البلغار سنة ١٩١٢، تعد من الشعر السياسي الاجتماعي الذي يعبر عن عاطفة الشعب والحكومة معاً، ولا يقتصر تأثيره على الأتراك وحدهم بل يشمل المسلمين على الإجمال.

على أن الشاعر لم يكن يبتعد في الشؤون الداخلية عن إرادة القصر في السياسة والاجتماع، فإذا عرض لقضية السفور والحجاب جارى المحافظين في رأيهم بحجاب المرأة لأن شاعر الأمير لا يجمل به أن ينادي بالسفور، وصاحب عابدين رأس المستمسكين بالقديم، وقصيدته التي رمز بها إلى المرأة ببلبل جميل يكرم في قفصه، تدلنا على مبلغ انقياده إلى سياسة

القصر، وهو الذي شهد حضارة باريس وتثقف ثقافة غربية راقية، ولكنه شاعر الأمير وأمير الشعراء، كما أخذت تنعته الصحف يوم ذاك.

والسياسة متقلبة مع الزمان والمكان، فلا عجب إذا تقلب شوقي معها، وجاء شعره وفيه صور متناقضة تناقض وجوهها، فما كادت تشترك الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى حتى خلعت انجلترا عباس عن العرش المصري، وكان قد لاذ بالأتراك، وأقامت مكانه صنيعتها السلطان حسين كامل، فبادر شوقي إلى مدحه وتهنئته، بعدما هجاه لأنه سمع اللورد كروم يشتم أباه إسماعيل في حفلة الأوبرا ولم ينبس ببنت شفة، ومدح معه الانجليز الذين حافظوا على عرش مصر، وبايعه على الوفاء لأنه لا يخون إسماعيل في أبنائه:

أأخون إسماعيل في أبنائه

ولقد ولدت بباب إسماعيلا؟

على أن هذا التزلف للانجليز والسلطان الجديد لم يفد الشاعر، فقد رأت السلطة البريطانية نفيه عن مصر، فسافر إلى اسبانيا، واتخذ برشلونة له سكناً طوال الحرب، فأوحت إليه الأندلس العربية بآثارها الخالدة طائفة من الشعر الجميل، منها قصيدته التي وصف بها الحمراء، معارضاً سينية البحتري في إيوان كسرى.

وعاد من اسبانيا إلى مصر في أواخر سنة ١٩١٩، وقد تبدلت فيها الحال وتغيرت عما كانت عليه في زمن عباس، فابتعد عن القصر وفي النفس ما فيها من ذكريات الماضي، وتخلى عن اللقب الذي طالما اعتز به:

شاعر العزيز وما

بالقليل ذا اللقبُ

ليحمل لقباً جديداً أقرب إلى القلوب من سابقه وهو شاعر الشعب ، وفي مصر يومئذ نهضة محمودة للإصلاح السياسي والاجتماعي وخلع نير الحماية الأجنبية، فدخل شوقي المعترك ينافح بشعره عن حقوق وطنه، وينادي بالإصلاح المأمول، وينشد الحرية والاستقلال، ويحمل على الانجليز منددا بأعمالهم، مقبحاً تصرفهم في البلاد، يجاري عاطفة الشعب، ويلمس جراحاته بيده، لا ينظر إليه عن بعد، كما كان ينظر إليه وهو في قصر عابدين. وإذا مدح الملك فؤاداً، فإنما يستطرد إلى مدحه في بسط حادث سياسي أو اجتماعي يشغل مصر، فيثني على الملك بعمل حميد أتاه أو يحضه على عمل صالح يريد أن يأتيه، فأصبح مدحه وسيلة لا غاية. وفي هذا العهد ظهرت قصائده الرائعة، منها قصيدته التي خاطب بها اللورد اللنبي عندما ألغيت الحماية البريطانية عن مصر، وقصيدته في آثار توت عنخ آمون، وقصيدته التي ناصر بها المرأة مؤيداً نزوعها إلى الحرية، فنادى برفع حجابها، و نقض ما قاله في قصيدة "صَدَّاح" معتذراً إلى قاسم أمين بعد موته.

ولم يقصر شعره على مصر وحدها، بل بسطه على الأقطار العربية والإسلامية، فكان شاعر الشرق وشاعر الإسلام معًا، يعني بالشؤون التي تخص سوريا ولبنان والعراق، كما يعني بالشؤون التي تخص الجمهورية التركية الفتية، فامتد ظله بعيداً، وحق له أن يقول يومذاك:

كان شعري الغناء في فرح الشرق،

وكانَ العزاء في أحزانه

ومما لا ريب فيه أن السنوات التي تحرر فيها الشاعر من سياسة القصر وتقاليده كانت أخصب أيام حياته، وأشرفها أثراً، وفيها عاد إلى فن التمثيل بعد هجر طويل، فانكب عليه بعزيمة صادقة لم توهنها بوادر الشيخوخة، فأخرج من المسرحيات: مصرع كليوباترا، وعلي بك الكبير بعد أن نظر فيها وأصلحها، ومجنون ليلى، وقمبيز، والسيدة هدى، والبخيلة، وأميرة الأندلس، وعنترة. فأحدث في الشعر التمثيلي تطوراً لا بأس به بالإضافة إلى ما كان عليه هذا الفن من قبل.

ويُعدّ شوقي بحق شاعر عصره يمثله بشتى أحواله في السياسة والاجتماع، وشاعر مصر ونابغتها، وشاعر الشرق والإسلام.

وإذا كان التقليد قد غلب على كثير من شعره، فلا يُجحد جديده في القصائد الطويلة والمسرح الشعري والتمثيل وأساطير الماضين؛ وله من الخيال الخصب، وقوة الوصف والتصوير، ودقة المعاني، وتنوع الأغراض، وحسن اختيار

الألفاظ وتأليفها ما يرفعه إلى أريكة الشعر السامية. وتأثيره البيَّن في جمهرة من الشعراء المعاصرين يخوله شرف الزعامة، ويجعل الإمارة غير مستنكرة عليه.

رحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي الذي وافته المنية في ١٤ أكتوبر عام ١٩٣٢

العلم والتعليم

قبيل افتتاح البرلمان الأول في ١٥ مارس سنة ١٩٢٤

قُــمْ للمعلّــمِ وفِّــهِ التبجــيلا ... كــاد المعلّــمُ أن يكــونَ رســولا

أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي ... يبــني ويُنشــئُ أنفسًــا وعقــولا؟

ســبحانك اللهــمَّ، خــيرَ معلّــمٍ ... علَّمــتَ بالقلــم القــرونَ الأولى

أخرجــتَ هــذا العقــلَ مــن ظُلماتِــه ... وهديتَــه النــورَ المبــينَ ســبيلا

وطبعتَــه بيــدِ المعلَّــم، تارةً ... صَــدِئَ الحديــدِ وتارة مصــقولا(١)

أرســلتَ بالتــوراةِ موسَــى مرشِــدًا ... وابــنَ البتــولِ فعلَّــم الإنجــيلا(٢)

وفَجَــرتَ يَنبــوعَ البيــانِ محمــدًا ... فسقى الحديثَ وناولَ التنزيلا(٣)

علَّمــتَ يــونانًا ومصــرَ فزالتــا ... عــن كــلِّ شمــسٍ مــا تُريــدُ أُفــولا

واليــومَ أصــبحتا بحــالِ طُفولــةٍ ... في العلــمِ تلتمســانِه تطفــيلا(٤)

من مَشرِقِ الأرضِ الشموسُ تظاهرتْ ... مــا بالُ مغرِبِهــا عليــه أُديــلا(٥)

يا أرضُ مُــذْ فقَــد المعلــمُ نفســهَ ... بــين الشــموسِ وبــين شــرقِك حــيلا

---

(١) طبع السيف صاغه، وصدئ الحديد أي غير مجلو ولا مصقول.

(٢) البتول لقب السيدة مريم عليها السلام.

(٣) التنزيل القرآن.

(٤) التطفيل التطفل.

(٥) أديل المغرب على المشرق أي فاقه وانتزع منه الدولة.

ذهب الذين حَموا حقيقةَ علمهِم ... واستعذبوا فيها العذابَ وبيلا

في عالَمٍ صحِبَ الحياةَ مقيَّداً ... بالفردِ، مخزوماً به، مغلولا(١)

صرعته دنيا المستبِدّ كما هوتْ ... من ضربةِ الشمسِ الرءوسُ ذُهولا

سُقراطُ أعطى الكأسَ وهي منيةٌ ... شفتي مِحبٍّ يشتهي التقبيلا

عرضوا الحياةَ عليه وهي غباوةٌ ... فأبى وآثر أن يموت نبيلا(٢)

إن الشجاعةَ في القلوبِ كثيرةٌ ... ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا

إن الذي خلق الحقيقةَ علقما ... لم يُخلِ من أهلِ الحقيقة جيلا

ولربما قتل الغرامُ رجالها ... قُتِل الغرام، كما استباحَ قتيلا

أو كلُّ من حامى عن الحق اقتنى ... عند السواد ضغائنًا وذُحولا(٣)

لو كنت أعتقدُ الصليبَ وخَطْبه ... لأَقمتُ من صَلْبِ المسيحِ دليلا

أمعلمي الوادي وساسةَ نشئه ... والطابعينَ شبابه المأمولا

والحاملينَ إذا دُعوا ليُعلِّموا ... عبءَ الأمانةِ فادحًا مسئولا

ونبِتْ خُطا التعليم بعد محمدٍ ... ومشى الهُوَيْنا بعد إسماعيلا

حتى رأينا مصرَ تخطو إصبَعًا ... في العلم، إن مشتِ الممالكُ ميلا

تلك الكفورُ وحَشْوُها أميةٌ ... من عهد "خوفو" لم تر القنديلا

تجدُ الذين بنى "المِسلَّةَ" جدُّهم ... لا يُحسنونَ لإبرةٍ تشكيلا!

---

(١) مخزومًا به أي مسخرًا له.

(٢) النبل الذكاء.

(٣) الذحول جمع ذحل وهو الثأر.

ويُـــدَلَّلون إذا أُريـــدَ قِيـــادُهم ... كـالبُهْمِ تأنـسُ إذ تـرى التـدليلا

يتلـو الرِّجـالُ عليهمُـو شـهواتِهم ... فالنـــاجِحون ألـــذَّهم تـــرتيلا

الجهـــلُ لا تحيـــا عليـــه جماعـــةٌ ... كيـفَ الحيـاةُ علـى يـدىْ عِـزريلا

رَبُّوا على الإنصافِ فتيانَ الْحِمَى ... تجـدوهمُ كهـفَ الحقـوق كهـولا

فهـو الـذي يبـني الطبـاعَ قويمـةً ... وهـو الـذي يبـني النفـوسَ عُـدولا

ويُقـيمُ منطِـق كـلَّ أعـوجِ منطـقٍ ... ويُريـــه رأياً في الأمـــور أصـــيلا

وإذا المعلـمُ لم يكـن عَـدْلاً مشـى ... روحُ العدالـةِ في الشـبابِ ضـئيلا

وإذا المعلـمُ سـاء لحـظَ بصـيرةٍ ... جاءتْ على يده البصائرُ حُولا(١)

وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ... ومـن الغـرورِ فسـمِّه التضـليلا

وإذا أُصـيبَ القـومُ في أخلاقهـم ... فـأقِمْ علـيهم مأتمـاً وعـويلا

إنّي لأعـذُرُكم وأحسـبُ عبـئَكُم ... مـن بـين أعبـاءِ الرجـال ثقـيلا

وجـدَ المسـاعَد غـيرُكم وحُرمتُمـوه ... في مصـرَ عـونَ الأمهـاتِ جلـيلا

وإذا النســاءُ نشــأنَ في أُميَّــةٍ ... رضَـعَ الرجـالُ جهالـةً وخمـولا

لـيس اليتـيمُ مـن انتهـى أبـواهُ مـن ... هِـمّ الحيـاةِ، وخلَّفـاه ذلـيلا

فأصـابَ بالـدنيا الحكيمـة منهمـا ... وبحســن تربيــةِ الزمــان بــديلا

إن اليتـيمَ هـو الـذي تلقـى لـه ... أمَّـا تخلـتْ، أو أباً مشـغولا(٢)

مصــر إذا مــا راجعــتْ أيامَهــا ... لم تلـقَ للسَّـبتِ العظـيم مثـيلا(١)

---

(١) الحول جمع حولاء والحولاء من في عينها حول والحول إقبال الحدقة على الأنف وهو عيب.

(٢) أما تخلت عن تربيته وأبا مشغولا عن العناية به وتهذيبه.

(البرلمانُ) غداً يُمدُّ رواقه ... ظلاً عَلَى الوادي السعيدِ ظليلا

نرجو إذا التعليمُ حرَّكَ شَجوَه ... ألا يكون عَلَى البلاد بخيلا

قلْ للشبابِ: اليومَ بُورك غرسُكم ... دنتِ القطوفُ وذُلِّلتْ تذليلا

حَيُّوا من الشهداءِ كلَّ مغيَّبٍ ... وضعُوا عَلَى أحجارِه إكليلا

ليكونَ حظ الحيِّ من شُكرانكم ... جمًّا وحظَّ الميْتِ منه جزيلا

لا يلمسُ الدستورُ فيكم روحَه ... حتى يَرَى جُنديَّه المجهولا(٢)

ناشدتُكم تلك الدماء زكية ... لا تبعَثُوا للبرلمان جهولا

فليسأَلَنَّ عن الأرائكِ سائلٌ ... أحملنَ فضلاً أم حملنَ فُضُولا

إن أنتَ أطلعتَ الممثَّلَ ناقصًا ... لم تلقَ عند كماله التمثيلا

فادعوا لها أهلَ الأمانة واجعلوا ... لأولي البصائرِ منهمو التفضيلا

إن المقصّرِ قد يحولُ ولن ترى ... لجهالةِ الطبعِ الغبيِّ محيلا

فلرُبَّ قولٍ في الرجالِ سمعتمو ... ثم انقضى فكأَنه ما قيلا

ولكمْ نصرتم بالكرامة والهوى ... من كان عندكمو هو المخذولا

كرمٌ وصفحٌ في الشبابِ وطالما ... كَرُمَ الشبابُ شمائلاً وميولا

قوموا اجمعوا شُعَب الأُبوةِ وارفعوا ... صوتَ الشباب محببًّا مقبولا

أدُّوا إلى العرش التحيةَ واجعلوا ... للخالق التكبيرَ والتهليلا

---

(١) السبت ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وهو اليوم الذي افتتح فيه (البرلمان) الأول. وقد كان هذا اليوم قريبًا من يوم الاحتفال.

(٢) يريد بالجندي المجهول من يعمل في غير جلبةٍ و ضوضاء وفي غير انتظار مكافأة أو جزاء.

مـــا أبعـــدَ الغـــاياتِ إلا إنـــني أجـــدُ الثبـــاتَ لكـــم بهـــنَّ كفـــيلا

فكِلـــوا إلى اللهِ النجـــاحَ وثابـــروا فـــــالله خـــــيرٌ كـــــافلًا ووكـــــيلا

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ

وُلِـدَ الهُـدى فَالكائِنـاتُ ضِـياءُ ... وَفَـمُ الزَمـانِ تَبَسُّـمٌ وَثَنـاءُ

الـروحُ وَالمَـلَأُ المَلائِـكُ حَولَـهُ ... لِلـدينِ وَالـدُنيا بِـهِ بُشَـراءُ

وَالعَـرشُ يَزهـو وَالحَظـيرَةُ تَزدَهـي ... وَالمُنتَهـى وَالسِـدرَةُ العَصـماءُ

وَحَديقَـةُ الفُرقـانِ ضـاحِكَةُ الـرُبا ... بِالتُرجُمـانِ شَـذِيَّةٌ غَنّـاءُ

وَالوَحيُ يَقطُرُ سَلسَلًا مِن سَلسَلٍ ... وَاللَـوحُ وَالقَلَـمُ البَـديعُ رُواءُ

نُظِمَت أَسامي الرُسلِ فَهيَ صَحيفَةٌ ... في اللَـوحِ وَاسـمُ مُحَمَّـدٍ طُغَـراءُ

اسـمُ الجَلالَـةِ في بَـديعِ حُروفِـهِ ... أَلِـفٌ هُنالِـكَ وَاسـمُ طَـهَ البـاءُ

يا خَـيرَ مَـن جـاءَ الوُجـودَ تَحِيَّـةً ... مِن مُرسَلينَ إِلى الهُدى بِكَ جاؤوا

بَيـتُ النَبِيّـينَ الَّـذي لا يَلتَقـي ... إِلّا الحَنـائِفُ فيـهِ وَالحُنَفـاءُ

خَـيرُ الأُبُـوَّةِ حـازَهُمْ لَـكَ آدَمٌ ... دونَ الأَنامِ وَأَحـرَزَت حَـوّاءُ

هُـم أَدرَكـوا عِـزَّ النُبُـوَّةِ وَانتَهَـت ... فيهـا إِلَيـكَ العِـزَّةُ القَعسـاءُ

خُلِقَـت لِبَيتِـكَ وَهـوَ مَخلـوقٌ لَهـا ... إِنَّ العَظـائِمَ كُفؤُهـا العُظَمـاءُ

بِـكَ بَشَّـرَ اللَهُ السَـماءَ فَزُيِّنَـت ... وَتَضَـوَّعَت مِسـكًا بِـكَ الغَـبراءُ

وَبَـدا مُحَيّـاكَ الَّـذي قَسَـماتُهُ ... حَـقٌّ وَغُرَّتُـهُ هُـدىً وَحَيـاءُ

وَعَلَيـهِ مِـن نـورِ النُبُـوَّةِ رَونَـقٌ ... وَمِـنَ الخَليـلِ وَهَديِـهِ سـيماءُ

أَثـنى المَسـيحُ عَلَيـهِ خَلـفَ سَمائِـهِ ... وَتَهَلَّلَـت وَاهتَـزَّتِ العَـذراءُ

يَـومٌ يَتيـهُ عَلـى الزَمـانِ صَـباحُهُ ... وَمَســـاؤُهُ بِمُحَمَّـــدٍ وَضّـــاءُ

الحَـقُّ عـالي الـرُكنِ فيـهِ مُظَفَّـرٌ ... في المُلـكِ لا يَعلـو عَلَيـهِ لِـواءُ

ذُعِـرَت عُـروشُ الظـالِمينَ فَزُلزِلَـت ... وَعَلَـت عَلـى تيجـانِهِم أَصـداءُ

وَالنـارُ خاوِيَـةُ الجَوانِـبِ حَـولَهُمْ ... خَمَـدَت ذَوائِبُهـا وَغـاضَ المـاءُ

وَالآيُ تَـترى وَالخَـوارِقُ جَمَّـةٌ ... جِبريـلُ رَوّاحٌ بِهـا غَـدّاءُ

نِعـمَ اليَتـيمُ بَـدَت مَخايِـلُ فَضـلِهِ ... وَاليُـتمُ رِزقٌ بَعضُـهُ وَذَكـاءُ

في المَهـدِ يُستَسـقى الحَيـا بِرَجائِـهِ ... وَبِقَصـدِهِ تُسـتَدفَعُ البَأسـاءُ

بِسِوى الأَمانَةِ في الصِبا وَالصِدقِ لَم ... يَعرِفـهُ أَهـلُ الصِـدقِ وَالأُمَنـاءُ

يا مَـن لَـهُ الأَخلاقُ مـا تَهوى العُلا ... مِنهـا وَمـا يَتَعَشَّـقُ الكُـبَراءُ

لَـو لَم تُقِـم دينًـا لَقامَـت وَحـدَها ... دينًـا تُضـيءُ بِنـورِهِ الآناءُ

زانَتـكَ في الخُلُـقِ العَظـيمِ شَمائِـلٌ ... يُغـرى بِهِـنَّ وَيولَـعُ الكُرَمـاءُ

أَمّـا الجَمـالُ فَأَنـتَ شَمـسُ سَمائِـهِ ... وَمَلاحَـةُ الصِـدّيقِ مِنـكَ أَياءُ

وَالحُسـنُ مِـن كَـرَمِ الوُجـوهِ وَخَـيرُهُ ... مـا أوتِيَ القُـوّادُ وَالزُعَمـاءُ

فَإِذا سَخَوتَ بَلَغتَ بِالجودِ المَدى ... وَفَعَلـتَ مـا لا تَفعَـلُ الأَنـواءُ

وَإِذا عَفَـوتَ فَقـادِرًا وَمُقَـدَّرًا ... لا يَسـتَهينُ بِعَفـوِكَ الجُهَـلاءُ

وَإِذا رَحِمـتَ فَأَنـتَ أُمٌّ أَو أَبٌ ... هَـذانِ في الـدُنيا هُمـا الرُحَمـاءُ

وَإِذا غَضِـبتَ فَإِنَّمـا هِـيَ غَضـبَةٌ ... في الحَـقِّ لا ضِـغنٌ وَلا بَغضـاءُ

وَإِذا رَضـيتَ فَـذاكَ في مَرضـاتِهِ ... وَرِضـا الكَثـيرِ تَحَلُّـمٌ وَرِياءُ

وَإِذا خَطَبــتَ فَلِلمَنــابِرِ هِــزَّةٌ تَعــرو النَــدِيَّ وَلِلقُلــوبِ بُكــاءُ

وَإِذا قَضَــيتَ فَــلا ارتِيــابَ كَأَنَّمــا جــاءَ الخُصــومَ مِــنَ السَــماءِ قَضــاءُ

وَإِذا حَمَيــتَ المــاءَ لَم يــورَد وَلَــو أَنَّ القَياصِــرَ وَالمُلــوكَ ظِمــاءُ

وَإِذا أَجَــرتَ فَأَنــتَ بَيــتُ اللهِ لَم يَــدخُل عَلَيــهِ المُســتَجيرَ عَــداءُ

وَإِذا مَلَكــتَ الــنَفسَ قُمــتَ بِبِرِّهــا وَلَــوَ اَنَّ مــا مَلَكَــت يَــداكَ الشــاءُ

وَإِذا بَنَيــتَ فَخَــيرُ زَوجٍ عِشــرَةً وَإِذا ابتَنَيــتَ فَــدونَكَ الآباءُ

وَإِذا صَــحِبتَ رَأى الوَفــاءَ مُجَسَّــمًا فِي بُــردِكَ الأَصــحابُ وَالخُلَطــاءُ

وَإِذا أَخَــذتَ العَهــدَ أَو أَعطَيتَــهُ فَجَميــعُ عَهــدِكَ ذِمَّــةٌ وَوَفــاءُ

وَإِذا مَشَــيتَ إِلى العِــدا فَغَضَــنفَرٌ وَإِذا جَرَيــتَ فَإِنَّــكَ النَكبــاءُ

وَتَمُــدُّ حِلمَــكَ لِلسَــفيهِ مُــدارِيًا حَــتّى يَضــيقَ بِعَرضِــكَ السُــفَهاءُ

فِي كُــلِّ نَفــسٍ مِــن سُــطاكَ مَهابَــةٌ وَلِكُــلِّ نَفــسٍ فِي نَــداكَ رَجــاءُ

وَالــرَأيُ لَم يُــنضَ المُهَنَّــدُ دونَــهُ كَالسَــيفِ لَم تَضــرِب بِــهِ الآراءُ

يأَيُّهــا الأُمِــيُّ حَســبُكَ رُتبَــةً فِي العِلــمِ أَن دانَــت بِــكَ العُلَمــاءُ

الــذِكرُ آيَــةُ رَبِّــكَ الكُــبرى الَّــتي فيهــا لِبــاغي المُعجِــزاتِ غَنــاءُ

صَــدرُ البَيــانِ لَــهُ إِذا التَقَــتِ اللُغى وَتَقَــدَّمَ البُلَغــاءُ وَالفُصَــحاءُ

نُسِــخَت بِــهِ التَــوراةُ وَهــيَ وَضــيئَةٌ وَتَخَلَّــفَ الإِنجيــلُ وَهــوَ ذُكــاءُ

لَمّــا تَمَشّــى فِي الحِجــازِ حَكيمُــهُ فُضَّــت عُكــاظُ بِــهِ وَقــامَ حِــراءُ

أَزرى بِمَنطِــقِ أَهلِــهِ وَبَيــانِهِمْ وَحــيٌ يُقَصِّــرُ دونَــهُ البُلَغــاءُ

حَسَـدوا فَقـالوا شـاعِرٌ أَو سـاحِرٌ ... وَمِـنَ الحَسـودِ يَكـونُ الاسـتِهزاءُ

قَـد نالَ بِالهـادي الكَـريمِ وَبِالهُـدى ... مـا لَم تَنَـل مِـن سُـؤدُدٍ سـيناءُ

أَمسـى كَأَنَّـكَ مِـن جَلالِـكَ أُمَّـةٌ ... وَكَأَنَّـهُ مِـن أُنسِـهِ بَيـداءُ

يـوحى إِلَيـكَ الفَـوزُ في ظُلُماتِـهِ ... مُتَتابِعًـا تُجلـى بِـهِ الظَلَمـاءُ

ديـنٌ يُشَـيَّدُ آيَـةً في آيَـةٍ ... لَبِناتُـهُ السـوراتُ وَالأَدواءُ

الحَـقُّ فيـهِ هُـوَ الأَسـاسُ وَكَيـفَ لا ... وَاللهُ جَـلَّ جَلالُـهُ البَنّـاءُ

أَمّـا حَـديثُكَ في العُقـولِ فَمَشـرَعٌ ... وَالعِلـمُ وَالحِكَـمُ الغَـوالي المـاءُ

هُـوَ صِـبغَةُ الفُرقـانِ نَفحَـةُ قُدسِـهِ ... وَالسـينُ مِـن سَـوراتِهِ وَالـراءُ

جَرَتِ الفَصاحَةُ مِن يَنابيعَ النُهى ... مِـن دَوحِـهِ وَتَفَجَّـرَ الإِنشـاءُ

في بَحـرِهِ لِلسـابِحينَ بِـهِ عَلـى ... أَدَبِ الحَيـاةِ وَعِلمِهـا إِرسـاءُ

أَتَـتِ الـدُهورُ عَلـى سُـلافَتِهِ وَلَم ... تَفـنَ السُـلافُ وَلا سَـلا النُـدَماءُ

بِـكَ يا ابـنَ عَبـدِ اللهِ قامَـت سَمحَـةٌ ... بِالحَـقِّ مِـن مَلَـلِ الهُـدى غَـرّاءُ

بُنِيَـت عَلـى التَوحيـدِ وَهـيَ حَقيقَـةٌ ... نادى بِهـا سُـقراطُ وَالقُـدَماءُ

وَجَـدَ الزُعـافَ مِـنَ السُـمومِ لِأَجلِها ... كَالشَـهدِ ثُمَّ تَتـابَعَ الشُـهَداءُ

وَمَشـى عَلـى وَجـهِ الزَمـانِ بِنورِهـا ... كُهّـانُ وادي النيـلِ وَالعُرَفـاءُ

إيـزيسُ ذاتُ المُلـكِ حينَ تَوَحَّـدَت ... أَخَـذَت قِـوامَ أُمورِهـا الأَشـياءُ

لَمّـا دَعَـوتَ النـاسَ لَـبّى عاقِـلٌ ... وَأَصَـمَّ مِنـكَ الجـاهِلينَ نِـداءُ

أَبَـوا الخُـروجَ إِلَيـكَ مِـن أَوهـامِهِمْ ... وَالنـاسُ في أَوهـامِهِمْ سُـجَناءُ

وَمِـنَ العُقـولِ جَـداوِلٌ وَجَلامِـدٌ ... وَمِـنَ النُفـوسِ حَرائِـرٌ وَإِمـاءُ

داءُ الجَماعَـةِ مِـن أَرِسـطاليسَ لَم ... يوصَـف لَـهُ حَـتّى أَتَيـتَ دَواءُ

فَرَسَمـتَ بَعـدَكَ لِلعِبـادِ حُكومَـةً ... لا سـوقَةٌ فيهـا وَلا أُمَـراءُ

اللهُ فَـوقَ الخَلـقِ فيهـا وَحـدَهُ ... وَالنـاسُ تَحـتَ لِوائِهـا أَكفـاءُ

وَالـدينُ يُسـرٌ وَالخِلافَـةُ بَيعَـةٌ ... وَالأَمـرُ شـورى وَالحُقـوقُ قَضـاءُ

الإِشـتِراكِيّونَ أَنـتَ إِمـامُهُمْ ... لَـولا دَعـاوي القَـومِ وَالغُلَـواءُ

داوَيـتَ مُتَّئِـدًا وَداوَوا ظَفـرَةً ... وَأَخَـفُّ مِـن بَعـضِ الـدَواءِ الـداءُ

الحَـربُ في حَـقٍّ لَـدَيكَ شَـريعَةٌ ... وَمِـنَ السُـمومِ الناقِعـاتِ دَواءُ

وَالـبِرُّ عِنـدَكَ ذِمَّـةٌ وَفَريضَـةٌ ... لا مِنَّـةٌ مَمنونَـةٌ وَجَبـاءُ

جـاءَت فَوَحَّـدَتِ الزَكـاةُ سَـبيلَهُ ... حَـتّى التَقـى الكُرَمـاءُ وَالـبُخَلاءُ

أَنصَفَت أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى ... فَالكُـلُّ في حَـقِّ الحَيـاةِ سَـواءُ

فَلَـوَ اَنَّ إِنسـانًا تَخَيَّـرَ مِلَّـةً ... مـا اختـارَ إِلّا دينَـكَ الفُقَـراءُ

يأَيُّهـا المُسـرى بِـهِ شَـرَفًا إِلى ... مـا لا تَنـالُ الشَـمسُ وَالجَـوزاءُ

يَتَسـاءَلونَ وَأَنـتَ أَطهَـرُ هَيكَـلٍ ... بِالـروحِ أَم بِالهَيكَـلِ الإِسـراءُ

بِهِمـا سَمَـوتَ مُطَهَّـرَينِ كِلاهُمـا ... نـورٌ وَرَيحانِيَّـةٌ وَبَهـاءُ

فَضـلٌ عَلَيـكَ لِـذي الجَـلالِ وَمِنَّـةٌ ... وَاللهُ يَفعَـلُ مـا يَـرى وَيَشـاءُ |

تَغشـى الغُيـوبَ مِـنَ العَـوالِمِ كُلَّمـا ... طُوِيَـت سَمـاءٌ قُلِّـدَتكَ سَمـاءُ

في كُـلِّ مِنطَقَـةٍ حَواشـي نورُهـا ... نـونٌ وَأَنـتَ النُقطَـةُ الزَهـراءُ

أَنتَ الجَمالُ بِها وَأَنتَ المُجتَلى ... وَالكَفُّ وَالمِرآةُ وَالحَسناءُ

اللهُ هَيَّأَ مِن حَظيرَةِ قُدسِهِ ... نَزُلًا لِذاتِكَ لَم يَجُزهُ عَلاءُ

العَرشُ تَحتَكَ سُدَّةً وَقَوائِمًا ... وَمَناكِبُ الروحِ الأَمينِ وِطاءُ

وَالرُسلُ دونَ العَرشِ لَم يُؤذَن لَهُم ... حاشا لِغَيرِكَ مَوعِدٌ وَلِقاءُ

الخَيلُ تَأبى غَيرَ أَحمَدَ حامِيًا ... وَبِها إِذا ذُكِرَ اسمُهُ خُيَلاءُ

شَيخُ الفَوارِسِ يَعلَمونَ مَكانَهُ ... إِن هَيَّجَت آسادَها الهَيجاءُ

وَإِذا تَصَدّى لِلظُبا فَمُهَنَّدٌ ... أَو لِلرِماحِ فَصَعدَةٌ سَمراءُ

وَإِذا رَمى عَن قَوسِهِ فَيَمينُهُ ... قَدَرٌ وَما تُرمى اليَمينُ قَضاءُ

مِن كُلِّ داعي الحَقِّ هِمَّةُ سَيفِهِ ... فَلِسَيفِهِ في الراسِياتِ مَضاءُ

ساقي الجَريحِ وَمُطعِمُ الأَسرى وَمَن ... أَمِنَت سَنابِكَ خَيلِهِ الأَشلاءُ

إِنَّ الشَجاعَةَ في الرِجالِ غَلاظَةٌ ... ما لَم تَزِنها رَأفَةٌ وَسَخاءُ

وَالحَربُ مِن شَرَفِ الشُعوبِ فَإِن بَغَوا ... فَالمَجدُ مِمّا يَدَّعونَ بَراءُ

وَالحَربُ يَبعَثُها القَوِيُّ تَجَبُّرًا ... وَيَنوءُ تَحتَ بَلائِها الضُعَفاءُ

كَم مِن غُزاةٍ لِلرَسولِ كَريمَةٍ ... فيها رِضىً لِلحَقِّ أَو إِعلاءُ

كانَت لِجُندِ اللهِ فيها شِدَّةٌ ... في إِثرِها لِلعالَمينَ رَخاءُ

ضَرَبوا الضَلالَةَ ضَربَةً ذَهَبَت بِها ... فَعَلى الجَهالَةِ وَالضَلالِ عَفاءُ

دَعَموا عَلى الحَربِ السَلامَ وَطالَما ... حَقَنَت دِماءً في الزَمانِ دِماءُ

الحَقُّ عِرضُ اللهِ كُلُّ أَبِيَّةٍ ... بَينَ النُفوسِ حِمىً لَهُ وَوِقارُ

هَـل كـانَ حَـولَ مُحَمَّـدٍ مِـن قَومِـهِ إِلا صَـــبِيٌّ واحِـــدٌ وَنِســـاءُ

فَـدَعا فَلَـبّى في القَبائِـلِ عُصـبَةٌ مُستَضـــعَفونَ قَلائِـــلٌ أَنضـــاءُ

رَدّوا بِبَـأسِ العَـزمِ عَنـهُ مِـنَ الأَذى مـــا لا تَـــرُدُّ الصَـــخرَةُ الصَـــمّاءُ

وَالحَـقُّ وَالإيمـانُ إِن صُـبّا عَلـى بُـــردٍ فَفيـــهِ كَتيبَـــةٌ خَرســـاءُ

نَسَـفوا بِنـاءَ الشِـركِ فَهـوَ خَرائِـبٌ وَاستَأصَـلوا الأَصـنامَ فَهـيَ هَبـاءُ

يَمشـونَ تُغضـي الأَرضُ مِـنهُمْ هَيبَـةً وَبِهِـــمْ حِيـــالَ نَعيمِهـــا إِغضـــاءُ

حَـتّى إِذا فُتِحَـت لَهُـمْ أَطرافُهـا لَم يُطغِهِـــمْ تَـــرَفٌ وَلا نَعمـــاءُ

يا مَـن لَـهُ عِـزُّ الشَـفاعَةِ وَحـدَهُ وَهـــوَ المُنَـــزَّهُ مـــا لَـــهُ شُـــفَعاءُ

عَـرشُ القِيامَـةِ أَنـتَ تَحـتَ لِوائِـهِ وَالحَـوضُ أَنـتَ حِيالَـهُ السَـقاءُ

تَـروي وَتَسـقي الصـالِحينَ ثَـوابَهُمْ وَالصـــالِحاتُ ذَخـــائِرٌ وَجَـــزاءُ

أَلِمِثلِ هَـذا ذُقتَ في الـدُنيا الطَوى وَانشَـقَّ مِـن خَلَـقٍ عَلَيـكَ رِداءُ

لي في مَـديحِكَ يا رَسـولُ عَـرائِسٌ تُـــيِّمنَ فيـــكَ وَشـــاقَهُنَّ جَـــلاءُ

هُـنَّ الحِسـانُ فَـإِن قَبِلـتَ تَكَرُّمًـا فَمُهـــورُهُنَّ شَـــفاعَةٌ حَســـناءُ

أَنـتَ الَّـذي نَظَـمَ البَرِيَّـةَ دينُـهُ مـــاذا يَقـــولُ وَيَـــنظُمُ الشُـــعَراءُ

المُصـلِحونَ أَصـابِعٌ جُمِعَـت يَـدًا هِـيَ أَنـتَ بَـل أَنـتَ اليَـدُ البَيضـاءُ

مـا جِئتُ بابَـكَ مادِحًـا بَـل داعِيًـا وَمِـــنَ المَـــديحِ تَضَـــرُّعٌ وَدُعـــاءُ

أَدعـوكَ عَـن قَـومي الضِعافِ لِأَزمَـةٍ في مِثلِهـــا يُلقـــى عَلَيـــكَ رَجـــاءُ

أَدرى رَســـولُ اللهِ أَنَّ نُفوسَـــهُمْ رَكِبَـــت هَواهـــا وَالقُلـــوبُ هَـــواءُ

مُتَفَكِّكـونَ فَمـا تَضُـمُّ نُفوسَـهُمْ ... ثِقَـةٌ وَلا جَمَـعَ القُلـوبَ صَـفاءُ

رَقَـدوا وَغَـرَّهُمُ نَعـيمٌ باطِـلٌ ... وَنَعـيمُ قَـومٍ في القُيـودِ بَـلاءُ

ظَلَمـوا شَـريعَتَكَ الَّـتي نِلنـا بِهـا ... مـا لَم يَنَـل في رومَـةَ الفُقَهـاءُ

مَشَـتِ الحَضارَةُ في سَناها وَاهتَدى ... في الـدينِ وَالـدُنيا بِهـا السُـعَداءُ

صَلّى عَلَيكَ اللهُ ما صَحِبَ الدُجى ... حـادٍ وَحَنَّـت بِالفَـلا وَجنـاءُ

وَاسـتَقبَلَ الرِضـوانَ في غُرُفـاتِهِمْ ... بِجِنـانِ عَـدنٍ آلُـكَ السُـمَحاءُ

خَيرُ الوَسائِلِ مَن يَقَع مِنهُم عَلى ... سَـبَبٍ إِلَيـكَ فَحَسـبِيَ الزَهـراءُ

هذي المحاسنُ ما خلفتَ لِبُرقُع

هذه القصيدة معارضة أحمد شوقي على عينية ابن سينا

ضُـمّي قِناعَـكِ يا سُـعادُ أَو اِرفَعـي ... هَـذي المَحاسِـنُ ما خُلِقنَ لِبُرقُـعِ

الضــاحياتُ، الباكيــاتُ، ودونَهــا ... ستر الجلالِ ، بعدُ شأو الملطع

يا دُمْيَـــةً لا يُســـتزاد جمالُهـــا ... زيديـه حُسْـنَ المُحْسِـن المتبرّع

مــاذا علــى ســلطانِه مــن وقفــة ... للضَّـارعين، وعَطْفـةٍ للخُشَّـع؟

بـل مـا يضـركِ لـو سمحـت بحلـوة ؟ ... إنّ العــروسَ كثــيرةُ المتطلّــع

لـيس الحجـابُ لِمـن يَعِـز مَنالُـه ... إن الحجـــاب لهـــين لم يمنـــع

أَنــتِ الــتي اتَّخــذ الجمــالَ لعــزّه ... من مظهـر ، ولسره من موضع

وهـو الصـناع ، يصـوغ كـل دقيقـة ... وأَدقّ منــكِ بَنانُــه لم تَصْــنَع

لمسـتك راحتـه ، ومسـك روحـه ... فـأَتى البـديعُ على مِثال المُبْدِعِ

الله في الأحبــار : مــن متهالــكٍ ... نضـوٍ ، ومهتـوكِ المسـوحِ مصـرع

مــن كــل غــاوٍ في طويــةِ راشــدٍ ... عاصي الظواهرِ في سريرةِ طَيّع

يَتَوَهَّجــون ويَطفــأَون، كــأَنهم ... ســرجٌ بمعــتركِ الــرياحِ الأربــع

علموا ، فضاق بهم وشقَّ طريقهم ... والجـاهلون على الطريـق المَهْيَـع

ذهب ابن سينا ، لم يفز بكِ ساعةً ... وتَوَلَّــت الحكمــاءُ لم تَتَمَتّــع

هــذا مقــامٌ ، كــلُّ عِــزٍّ دونَــه ... شمــسُ النهــارِ بمثلــه لم تطمــع

فمحمـــدٌ لـــك والمســـيح تـــرجلا ... وترجلـتْ شمـسُ النهـار ليوشـع

مـا بالُ أَحمـدَ عَـيَّ عنـكِ بيانُـه؟ ... بـل مـا لعيسـى لم يقـلْ أو يـدع

وَلِســانُ موســى اِنحَــلَّ إلّا عُقــدَةً ... مِـن جانِبَيـكَ عِلاجُهـا لَم يَنجَـع

لَمّـــا حَلَلـــتِ بِآدَمٍ حَـــلَّ الحِبـــا ... وَمَشى عَلى المَلَأ السُجودِ الرُكَّعِ

وَأَرى النُبُـــوَّةَ في ذَراكِ تَكَرَّمَـــت ... في يوسُـفٍ وَتَكَلَّمَـت في المُرضَـعِ

وَسَـقَت قُـريشَ عَلـى لِسـانِ مُحَمَّـدٍ ... بِالبـــابِلِيِّ مِـــنَ البَيـــانِ المُمتِـــعِ

وَمَشَـت بِموسى في الظَـلامِ مُشَـرَّداً ... وَحَدَتـهُ في قُلَـلِ الجِبـالِ اللُمَّـعِ

حَـتّى إِذا طُوِيَـت وَرِثـتِ خِلالَهـا ... رُفِـعَ الرَحيـقُ وَسِـرُّهُ لَم يُرفَـعِ

قَسَـمَت مَنازِلَـكِ الحُظـوظُ فَمَنـزِلاً ... أُتـرَعنَ مِنـكِ وَمَنـزِلاً لَم تُـترَعِ

وَخَلِيَّـةً بِالنَحـلِ مِنـكِ عَمـيرَةً ... وَخَلِيَّـــةً مَعمـــورَةٍ بِالتُبَّـــعِ

وَحَظـيرَةً قَـد أودِعَـت غُـرَرَ الـدُمى ... وَحَظـــيرَةً مَحرومَـــةً لَم تَـــودَعِ

نَظَـرَ الـرَئيسُ إِلى كَمالِـكِ نَظـرَةً ... تَخـلُ مِـن بَصَـرِ اللَبيـبِ الأَروَعِ

فَـــرآهُ مَنزِلَـــةً تَعَـــرَّضَ دونَهـــا ... قِصَرُ الحَياةِ وَحالَ وَشكُ المَصرَعِ

لَـولا كَمالُـكِ في الـرَئيسِ وَمِثلِـهِ ... لَم تَحسُـنِ الـدُنيا وَلَم تَتَرَعـرَعِ

اللَهُ ثَبَّـــتَ أَرضَـــهُ بِـــدَعائِمٍ ... هُـم حائِطُ الـدُنيا وَرُكنُ المَجمَعِ

لَـو أَنَّ كُـلَّ أَخـي يَـراعٍ بِالِـغٌ ... شَأوَ الرَئيسِ وَكُلَّ صاحِبِ مِبضَعِ

ذَهَـبَ الكَمـالُ سُـدىً وَضـاعَ مَحَلَّـهُ ... في العـالَمِ المُتَفـاوِتِ المُتَنَـوِّعِ

يا نَفـسُ مِثـلُ الشَـمسِ أَنـتِ أَشِـعَّةٌ ... في عـامِرٍ وَأَشِـعَّةٌ في بَلقَـعِ

فَـإِذا طَـوى اللهُ النَهـارَ تَراجَعَـت ... شَـتّى الأَشِـعَّةِ فَالتَقَت في المَرجِعِ

لَمـا نُعيـتِ إِلى المَنـازِلِ غـودِرَت ... دَكّـاً وَمِثلُـكِ في المَنـازِلِ مـا نُعي

ضَـجَّت عَلَيـكِ مَعالِمـاً وَمَعاهِـداً ... وَبَكَـت فُراقُـكِ بِالـدُموعِ الهُمَّـعِ

آذَنتِهـا بِنَـوىً فَقالَـت لَيـتَ لَم ... تَصِـلِ الحِبـالَ وَلَيتَهـا لَم تَقطَـعِ

وَرِداءُ جُثمـانٍ لَبِسـتِ مُـرَقَّمٍ ... بِيَدِ الشَبابِ عَلى المَشيبِ مُرَقَّعِ

كَـم بِنـتِ فيـهِ وَكَـم خَفيـتِ كَأَنَّـهُ ... ثَـوبُ المُمَثِّـلِ أَو لِبـاسُ المَرفَـعِ

أَسَـئِمتِ مِـن ديباجِـهِ فَنَزَعتِـهِ ... وَالخَـزُّ أَكفـانٌ إِذا لَم يُنـزَعِ

فَزِعَـت وَمـا خَفِيَـت عَلَيهـا غايَـةٌ ... لَكِـنَّ مَـن يَـرِدِ القِيامَـةَ يَفـزَعِ

ضَـرَعَت بِأَدمُعِهـا إِلَيـكِ وَمـا دَرَت ... أَنَّ السَـفينَةَ أَقلَعَـت في الأَدمُـعِ

أَنـتِ الوَفِيَّـةُ لا الـذِمامُ لَـدَيكِ مَـذ ... مـومٌ وَلا عَهـدُ الهَـوى بِمُضَـيَّعِ

أَزمَعـتِ فَانهَلَّـت دُموعُـكِ رِقَّـةً ... وَلَـوِ اِستَطَعتِ إِقامَـةً لَم تُزمِعـي

بانَ الأَحِبَّـةُ يَـومَ بَينِـكِ كُلَّهُـم ... وَذَهَبـتِ بِالماضـي وَبِالمُتَوَقَّـعِ

سلوا قلبي

ضُـمّي قِناعَـكِ يا سُـعادُ أَو اِرفَعـي ... هَـذي المَحاسِـنُ مـا خُلِقـنَ لِبُرقُـعِ

في مدح النبي مُحَمَّد وفي ذكرى المولد ... سلُـوا قلبـي غـداةَ سـلا وثابـا

لعـلَّ علـى الجمـالِ لـه عِتابـا ... ويُسْـأَلُ فِي الحـوادثِ ذو صـوابٍ

فَهَـلْ تَـرَكَ الْجمـالُ لـه صوابـا ؟ ... وكنـتُ إذا سأَلـتُ القلـبَ يومـاً

تـولَّى الدمـعُ عـن قلبـي الجوابـا ... ولـي بيـن الضلـوع دمٌ ولحـمٌ

همـا الـواهي الـذي ثكِـلَ الشبابـا ... تَسَرَّبَ فِي الدموعِ ، فقلتُ : ولَّى

وصَـفَّقَ فِي الضلـوعِ ، فقلتُ : ثابـا ... ولـوْ خُلِقَـتْ قلـوبٌ مِـنْ حديـد

لـما حَمَلَـتْ كمـا حَمـل العذابـا ... وأَحْبـابٍ سُقيـتُ بِهِـمْ سُلافـاً

وكـان الوصْـلُ مِـنْ قِصَـرٍ حَبابـا ... ونادَمْنـا الشبـابَ علـى بِسـاطٍ

مـن اللـذاتِ مُخْتلـفٍ شرابـا ... وكُـلُّ بساطِ عَيْشٍ سَوْف يُطوى

وإن طـال الزمـانُ بِـهِ وطابـا ... كـأَنَّ الْقَلْـبَ بَعْدهُـمُ غريـبٌ

إذا عادَتْـه ذِكْـرى الأهـلِ ذابـا ... ولا يُنْبِيـكَ عـن خُلُـقِ الليالـي

كمـن فَقَـد الأَحِبَّـةَ والصِّحابـا ... أَخـا الدنيـا ، أرى دنيـاك أَفعـى

تُبـدِّل كـلَّ آونـةٍ إهابـا ... وأَنَّ الرُّقْـطَ أَيْقَـظُ هاجعـاتٍ

وأَتْـرَعُ فِي ظـلالِ السلـم نابـا ... ومِـنْ عَجَـبٍ تُشيِّـبُ عاشِقيـها

وتُفْنِـيهِمْ ، ومـا بَرِحَـتْ كَعَابـا ... فَمَـنْ يغْتَـرُّ بالدنيـا فإِنِّـي

لبستُ بها فأَبليتُ الثيابا ... لها ضَحِكُ القِيانِ إلى غَبيِّ

ولِي ضحكُ اللبيبِ إذا تغابى ... جنيتُ برَوْضِها ورداً ، وشوكاً

وذقتُ بكأْسِها شُهْداً، وصابا ... فلمْ أر غيرَ حُكْمِ الله حُكْماً

ولم أَر دون بابِ الله بابا ... ولا عظَّمْتُ فِي الأَشياءِ إلاّ

صحيحَ الْعِلْم ، والأَدبَ اللَّبابا ... ولا كَرّمْتُ إلاّ وجْهَ حُرٍّ

يُقلِّد قَوْمَه الْمِننَ الرَّغابا ... ولم أَر مثلَ جمعِ المالِ داءً

ولا مِثْلَ البخيلِ به مُصابا ... فلا تَقْتُلْك شهوتُه ، وزِنْها

كما تَزِنُ الطعامَ أو الشرابا ... وخُذْ لبنيكَ والأيامِ ذُخراً

وأَعْطِ الله حِصَّتَه احتسابا ... فلوْ طالعْتَ أَحْداثَ الليالي

وجدْتَ الْفَقْرَ أَقرَبَها انتِيابا ... وأَن البِرَّ خيرٌ فِي حياةٍ

وأَبقى بَعْدَ صاحبِه ثوابا ... وأَن الشرَّ يصدعُ فاعِليه

ولم أَرَ خيِّراً بالشَّرِّ آبا ... فَرِفقاً بالبنين إذا الليالي

على الأَعقابِ أَوْقَعَتِ العِقابا ... ولمْ يَتَقَلَّدوا شُكْرَ اليتامى

ولا ادَّرعوا الدعاءَ المستجابا ... عَجِبْتُ لِمَعْشَرٍ صلّوا وصاموا

عواهرَ، خشْيةً وتُقَى كِذابا ... وتُلْفيهمْ حِيالَ المالِ صُمَّا

إذا داعي الزكاةِ بِهِمْ أَهابا ... لَقَدْ كَتَمُوا نصيبَ الله منْهُ

كأَنَّ الله لَمْ يُحْصِ النِّصابا ... ومَنْ يَعْدِلْ بحُبِّ الله شيئاً

كحبِّ المالِ ، ضَلَّ هوىً وخابا ... أَراد الله بالفقراءِ بِرّاً

وبالأَيتـــام حُبًّـــا وارْتبابـــا ... فـــرُبَّ صغيـــرِ قَـــوْمٍ علَّمـــوه

سَمَـا وحَمـى المُسَوَّمَـةَ العِرابـا ... وكـانَ لِقَوْمِـهِ نَفْعـاً وفَخْـراً

وَلَـوْ تركـوه كـان أذىً وعابـا ... فعلِّمْ ما اسَتطعْت، لَعَلَّ جيلاً

سَيَأْتـي يُحْـدِثُ العَجَـبَ العُجابـا ... ولا تُرْهِـقْ شبـابَ الـحيِّ يأْسـاً

فَـإِنَّ اليـأْسَ يخْتَـرِمُ الشَّبابـا ... يريـد الخالـقُ الـرزقَ اشتراكـاً

وإن يـكُ خـصَّ أَقوامـاً وحابـى ... فمـا حَـرَمَ الْمُجِـدَّ جَنَـى يديـه

ولا نَسِـيَ الشقـيَّ ، ولا المُصابـا ... ولـولا الْبُخْـلُ لم يَهْلِـكْ فريـقٌ

علـى الأقـدارِ تلْقاهُـمْ غِضابـا ... تَعِبْـتُ بأَهْلِـه لَوْمـاً ، وقبلـي

دُعـاةُ البِـرِّ قـد سئمـوا الخطابـا ... ولـوْ أَنـي خطبْـتُ علـى جَمَـادٍ

فَجَـرْتُ بـه الينابيـعَ العِذابـا ... أَلَمْ تَـرَ للهـواءِ جـرى فأَفْضـى

إلى الأَكـواخِ ، واخْتَـرَقَ الْقِبابـا ؟ ... وأَنَّ الشَّـمْسَ فِي الآفـاق تَغشـى

حِمى كِسْرَى ، كما تغشى اليبابا ؟ ... وأَن المـاءَ تـروى الأُسْـدُ منـهُ

ويَشـفي مِـنْ تَلَعْلُعِـها الكلابـا ؟ ... وسَـوّى اللهُ بَيْنَكُـمُ المنايـا

ووسَّدَكُـمْ مَـعَ الرسْـلِ التُّرابـا ... وأَرْسَـلَ عائـلاً مِنْكُـمْ يتيمـاً

دنا مِـنْ ذي الجَـلالِ فكـانَ قابـا ... نبـيُّ البـرِّ ، بَيَّنَـهُ سبيـلاً

وَسَـنَّ خِلالَـه ، وهَـدى الشِّعابـا ... تَفَـرَّقَ بعْـدَ عيسـى النـاسُ فيـه

فَلَمَّـا جـاءَ كـان لَهُـمْ مَتابـا ... وشـافي الـنفسِ مِـنْ نزَعـاتِ شَـرٍّ

كشـافٍ مِـنْ طبائعهـا الذئابـا ... وكـان بيانُـه للهـدْيِ سُبْـلاً

وكانَـــتْ خَيْلُـــه لِلْحَـــقِّ غابـــا ... وعَلَّمنـــا بنـــاءَ المجْـــدِ ، حتَّـــى

أَخَذْنـــا إِمْـــرَةَ الأَرْضِ اغتصابـــا ... ومـــا نَيـــلُ المَطالِـــب بالتَّمنـــي

ولكـــن تُؤخَـــذُ الدّنيـــا غِلابـــا ... ومـا استعصـى علـى قـومٍ منـالٌ

إذا الإقـــدامُ كـــان لَهُـــمْ رِكابـــا ... تجلَّـى مولـدُ الـهادي ، وعمَّـتْ

بشائـــرهُ البـــواديَ والقِصابـــا ... وأَسْـــدَتْ لِلْبرَّيـــةِ بِنْـــتُ وَهْـــبٍ

يـــداً بيضـــاءَ ، طوّقـــتِ الرِّقابـــا ... لقـــدْ وَضَعَتْـــه وهّاجـــاً ، مُنيـــراً

كمـــا تلـــدُ السمـــاواتُ الشِّهابـــا ... فَقَـــامَ علـــى سمـــاءِ الْبَيْـــتِ نـــوراً

يُضـــيءُ جبـــالَ مكَّـــةَ والنقابـــا ... وضـاعت يَثْـرِبُ الفيحـاءُ مِسْكـاً

وفـــاحَ القـــاعُ أَرجـــاءً وطابـــا ... أَبا الزَّهْـراءِ ، قـدْ جـاوزتُ قـدري

بِمـدْحِكَ ، بيْـدَ أنَّ لِـيَ انْتِسابـا ... فمـا عَـرَفَ الْبَلاَغَـةَ ذو بيـانٍ

إذا لـــم يَتَّخِـــذْكَ لـــه كِتابـــا ... مَـدَحْتُ المـالكينَ ، فَـزِدْتُ قَـدْراً

فحـين مَـدَحْتُكَ اقْتَـدْتُ السَّحابـا ... سأَلـــتُ الله فِـــي أبنـــاء دينـــي

فـإن تَكُـــنِ الْوَسيلـــةَ لـــي أَجابـــا ... ومـا لِلْمُسْلِمِيـن سِـواكَ حِصْـنٌ

إذا وكـان مِـنَ النُحوسِ لَهُـمْ حِجابـا ... مـــا الضـــرُّ مسَّهُـــمُ ونابـــا

كـأَنَّ الـنَّحْسَ حيـن جـرى عَلَيْهِـمْ ... أَطـــار بكـــلِّ مَمْلَكَـــةٍ غُرابـــا

ولـوْ حفظـوا سـبيلَكَ كـان نُـوراً ... بنيْـتَ لَهُـمْ مِـنَ الأخـلاقِ رُكنـاً

فخـانوا الـرُّكْنَ ، فانْهَـدَمَ اضطرابـا ... وكـــانَ جَنابُهُـــمْ فيهـــا مَهِيبـــاً

ولَلأخـــلاقُ أَجـــدرُ أن تُهابـــا ... فلوْلاهـــا لســـاوى الليـــثُ ذئبـــاً

وســاوى الصــارِمُ الْماضــي قِرابــا فــإنْ قُرنَــتْ مَكارِمُهــا بِعِلْــمِ

تَذَلَّلــتِ العُــلاَ بِهِمَــا صِعَابــا وفِي هــذا الزمــانِ مَسيــحُ عِلْــمِ

يَرُدُّ على بني الأُمَمِ الشبابا

بطل الصحراء

في رثاء عمر المختار

رَكَــزوا رُفاتَــكَ في الرِمــالِ لِــواءَ ... يَســتَنهِضُ الــوادي صَــباحَ مَســاءَ

يا وَيحَهُــم نَصَــبوا مَنــاراً مِــن دَمٍ ... تــوحي إِلى جيــلِ الغَــدِ البَغضــاءَ

مـا ضَـرَّ لَـو جَعَلـوا العَلاقَـةَ في غَـدٍ ... بَــينَ الشُــعوبِ مَــوَدَّةً وَإِخــاءَ

جُـرحٌ يَصيحُ عَلى المَـدى وَضَـحِيَّةٌ ... تَــــتَلَمَّسُ الحُرِّيَــــةَ الحَمــــراءَ

يا أَيُّهــا السَــيفُ المُجَــرَّدُ بِالفَــلا ... يَكسو السُيوفَ عَلى الزَمانِ مَضاءَ

تِلـكَ الصَـحاري غِمـدُ كُـلِّ مُهَنَّـدٍ ... أَبلــى فَأَحسَــنَ في العَــدُوِّ بَــلاءَ

وَقُبــورُ مَــوتى مِــن شَــبابِ أُمَيَّــةٍ ... وَكُهــــولِهِم لَم يَبرَحــــوا أَحيــــاءَ

لَــو لاذَ بِالجَــوزاءِ مِــنهُم مَعقِــلٌ ... دَخَلــوا عَلــى أَبراجِهــا الجَــوزاءَ

فَتَحــوا الشَــمالَ سُــهولَهُ وَجِبالَــهُ ... وَتَوَغَّلــوا فَاِســتَعمَروا الخَضــراءَ

وَبَنَــوا حَضــارَتَهُم فَطــاوَلَ رُكنُهــا ... دارَ السَــلامِ وَجِلَّــقَ الشَــمّاءَ

خُيِّرتَ فَاِختَرتَ المَبيتَ عَلى الطَوى ... لَم تَــبنِ جاهــاً أَو تَلُــمَّ ثَــراءَ

إِنَّ البُطولَــةَ أَن تَمــوتَ مِــن الظَمــا ... لَــيسَ البُطولَــةُ أَن تَعُــبَّ المــاءَ

إِفريقيــا مَهــدُ الأُســودِ وَلَحــدُها ... ضَــجَّت عَلَيــكَ أَراجِــلاً وَنِســاءَ

وَالمُسلِمونَ عَلى اِختِلافِ دِيارِهِم ... لا يَملُكــونَ مَــعَ المُصــابِ عَــزاءَ

وَالجاهِلِيَّــةُ مِــن وَراءِ قُبــورِهِم ... يَبكــونَ زيــدَ الخَيــلِ وَالفَلحــاءَ

في ذِمَّـــةِ اللهِ الكَـــريمِ وَحِفظِـــهِ جَسَـــدٌ بِبُرقَـــةَ وُسِّـــدَ الصَـــحراءَ

لَم تُبـقِ مِنـهُ رَحـى الوَقـائِعِ أَعظُمـاً تَبلـى وَلَم تُبـقِ الرِمـاحُ دِمـاءَ

كَرُفـاتِ نَسـرٍ أَو بَقِيَّـةِ ضَـيغَمٍ باتا وَراءَ السـافِياتِ هَبـاءَ

بَطَـلُ البَـداوَةِ لَم يَكُـن يَغـزو عَلـى تَنَـكٍ وَلَم يَـكُ يَركَـبُ الأَجـواءَ

لَكِـن أَخـو خَيـلٍ حَمـى صَـهَواتِها وَأَدارَ مِـن أَعرافِهـا الهَيجـاءَ

لَـبّى قَضـاءَ الأَرضِ أَمـسِ بِمُهجَـةٍ لَم تَخـشَ إِلّا لِلسَـماءِ قَضـاءَ

وافـاهُ مَرفـوعَ الجَبـينِ كَأَنَّـهُ سُـقراطُ جَـرَّ إِلى القُضـاةِ رِداءَ

شَـيخٌ تَمالَـكَ سِـنَّهُ لَم يَنفَجِـر كَالطِفلِ مِن خَوفِ العِقابِ بُكاءَ

وَأَخـو أُمـورٍ عـاشَ في سَـرّائِها فَتَغَيَّـرَت فَتَوَقَّـعَ الضَـرّاءَ

الأُسـدُ تَـزأَرُ في الحَديـدِ وَلَـن تَـرى في السِجنِ ضِرغاماً بَكى اِستِخذاءَ

وَأَتـى الأَسـيرُ يَجُـرُّ ثِقـلَ حَديـدِهِ أَسَـدٌ يُجَـرِّرُ حَيَّـةً رَقطـاءَ

عَضَّـت بِسـاقَيهِ القُيـودُ فَلَـم يَنُـؤ وَمَشَـت بِهَيكَلِـهِ السُـنونَ فَنـاءَ

تِسعونَ لَـو رَكِبَت مَناكِـبَ شـاهِقٍ لَتَرَجَّلَـت هَضَـباتُهُ إِعيـاءَ

خَفِيَت عَنِ القاضي وَفاتَ نَصيبُها مِـن رِفـقِ جُنـدٍ قـادَةً نُـبَلاءَ

وَالسُـنُّ تَعصِـفُ كُـلَّ قَلـبِ مُهَـذَّبٍ عَـرَفَ الجُـدودَ وَأَدرَكَ الآباءَ

دَفَعـوا إِلى الجَـلّادِ أَغلَـبَ ماجِـداً يَأسـو الجِـراحَ وَيُعتِـقُ الأُسَـراءَ

وَيُشـاطِرُ الأَقـرانَ ذُخـرَ سِـلاحِهِ وَيَصُـفُّ حَـولَ خِوانِـهِ الأَعـداءَ

وَتَخَـيَّروا الحَبـلَ المَهـينَ مَنِيَّـةً لِلَّيـثِ يَلفِـظُ حَولَـهُ الحَـوباءَ

حَرَموا المَماتَ عَلى الصَوارِمِ وَالقَنا مَـن كـانَ يُعطـي الطَعنَـةَ الـنَجلاءَ

إِنّي رَأَيــتُ يَــدَ الحَضــارَةِ أولِعَــت بِالحُـــــقِّ هَـــــدماً تارَةً وَبِنـــــاءَ

شَـرَعَت حُقـوقَ النـاسِ في أَوطـانِهِم إِلّا أُباةَ الضَـــــيمِ وَالضُـــــعَفاءَ

يا أَيُّهــا الشَــعبُ القَريــبُ أَســامِعٌ فَأَصـــوغُ في عُمَـــرَ الشَـــهيدِ رِثاءَ

أَم أَجلَمَـت فـاكَ الخُطـوبُ وَحَرَّمَـت أُذنَيــكَ حــينَ تُخاطَــبُ الإِصــغاءَ

ذَهَــبَ الــزَعيمُ وَأَنــتَ باقٍ خالِــدٌ فَانقُــد رِجالَــكَ وَاِخــتَرِ الزُعَمــاءَ

وَأَرِح شُيوخَكَ مِن تَكاليفِ الوَغى وَاِحمِــل عَلــى فِتيانِــكَ الأَعبــاءَ

نهج البردة

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ ... أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ

رَمى القَضاءُ بِعَينَي جُؤذَرٍ أَسَدًا ... يا ساكِنَ القاعِ أَدرِك ساكِنَ الأَجَمِ

لَمّا رَنا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَةً ... يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي

جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهمَ في كَبِدي ... جُرحُ الأَحِبَّةِ عِندي غَيرُ ذي أَلَمِ

رُزِقتَ أَسمَحَ ما في الناسِ مِن خُلُقٍ ... إِذا رُزِقتَ اِلتِماسَ العُذرِ في الشِيَمِ

يا لائِمي في هَواهُ وَالهَوى قَدَرٌ ... لَو شَفَّكَ الوَجدُ لَم تَعذِل وَلَم تَلُمِ

لَقَد أَنَلتُكَ أُذنًا غَيرَ واعِيَةٍ ... وَرُبَّ مُنتَصِتٍ وَالقَلبُ في صَمَمِ

يا ناعِسَ الطَرفِ لا ذُقتَ الهَوى أَبَدًا ... أَسهَرتَ مُضناكَ في حِفظِ الهَوى فَنَمِ

أَفديكَ إِلفًا وَلا آلو الخَيالَ فِدًى ... أَغراكَ بِالبُخلِ مَن أَغراهُ بِالكَرَمِ

سَرى فَصادَفَ جُرحًا دامِيًا فَأَسا ... وَرُبَّ فَصلٍ عَلى العُشّاقِ لِلحُلُمِ

مَنِ المَوائِسُ بانًا بِالرُبى وَقَنًا ... اللاعِباتُ بِروحي السافِحاتُ دَمي

السافِراتُ كَأَمثالِ البُدورِ ضُحًى ... يُغرِنَ شَمسَ الضُحى بِالحَلي وَالعِصَمِ

القاتِلاتُ بِأَجفانٍ بِها سَقَمٌ ... وَلِلمَنِيَّةِ أَسبابٌ مِنَ السَقَمِ

العاثِراتُ بِأَلبابِ الرِجالِ وَما ... أُقِلنَ مِن عَثَراتِ الدَلِّ في الرَسَمِ

المُضرِماتُ خُدودًا أَسفَرَتْ وَجَلَتْ ... عَن فِتنَةٍ تُسلِمُ الأَكبادَ لِلضَرَمِ

الحامِلاتُ لِواءَ الحُسنِ مُختَلِفًا ... أَشكالُهُ وَهوَ فَردٌ غَيرُ مُنقَسِمِ

مِـن كُـلِّ بَيضـاءَ أَو سَمـراءَ زُيِّنَتـا ... لِلعَـينِ وَالحُسـنُ في الآرامِ كَالعُصُـمِ

يُـرَعنَ لِلبَصَـرِ السـامي وَمِن عَجَبٍ ... إِذا أَشَـرنَ أَسَـرنَ اللَيـثَ بِالعَـنَمِ

وَضَعتُ خَدّي وَقَسَّمتُ الفُؤادَ رُبًى ... يَـرتَعنَ في كُـنُسٍ مِنـهُ وَفي أَكَـمِ

يا بِنـتَ ذي اللَبَـدِ المُحَمـيِّ جانِبُـهُ ... أَلقاكِ في الغابِ أَم أَلقاكِ في الأُطُـمِ

مـا كُنـتُ أَعلَـمُ حَـتّى عَـنَّ مَسـكَنُهُ ... أَنَّ المُـنى وَالمَنـايا مَضـرِبُ الخِـيَمِ

مَن أَنبَتَ الغُصنَ مِن صَمصامَةٍ ذَكَرٍ ... وَأَخـرَجَ الـريمَ مِـن ضِـرغامَةٍ قَـرِمِ

بَيني وَبَينُـكِ مِـن سُمـرِ القَنـا حُجُـبٌ ... وَمِثلُهـا عِفَّـةٌ عُذرِيَّـةُ العِصَـمِ

لَم أَغشَ مَغناكِ إِلا في غُضونِ كِرًى ... مَغنـاكَ أَبعَـدُ لِلمُشـتاقِ مِـن إِرَمِ

يا نَفسُ دُنيـاكِ تُخفـي كُـلَّ مُبكِيَـةٍ ... وَإِن بَـدا لَـكِ مِنهـا حُسـنُ مُبتَسَـمِ

فُضّي بِتَقواكِ فاهًا كُلَّما ضَـحِكَتْ ... كَمـا يَفُـضُّ أَذى الرَقشـاءِ بِالثَـرَمِ

مَخطوبَـةٌ مُنـذُ كـانَ النـاسُ خاطِبَـةٌ ... مِـن أَوَّلِ الـدَهرِ لَم تُرمِـل وَلَم تَـئَمِ

يَفـنى الزَمـانُ وَيَبقـى مِـن إِسـاءَتِها ... جُـرحٌ بِآدَمَ يَبكـي مِنـهُ في الأَدَمِ

لا تَخفَلـي بِجَناهـا أَو جِنايَتِهـا ... المَوتُ بِالزَهـرِ مِثـلُ المَوتِ بِالفَحَـمِ

كَـم نائِـمٍ لا يَراهـا وَهـيَ سـاهِرَةٌ ... لَـولا الأَمـانِيُّ وَالأَحـلامُ لَم يَـنَمِ

طَـورًا تَمُـدُّكَ في نُعمـى وَعافِيَـةٍ ... وَتارَةً في قَـرارِ البُـؤسِ وَالوَصَـمِ

كَم ضَـلَّلَتكَ وَمَن تُحجَب بَصيرَتُهُ ... إِن يَلـقَ صـابا يَـرِد أَو عَلقَمًـا يَسُـمُ

يا وَيلَتـاهُ لِنَفسـي راعَهـا وَدَهـا ... مُسوَدَّةُ الصُحفِ في مُبيَضَّـةِ اللَمَـمِ

رَكَضـتُها في مَريـعِ المَعصِـياتِ وَمـا ... أَخَـذتُ مِـن حِميَـةِ الطاعـاتِ لِلتُخَمِ

هامَت عَلى أَثَرِ اللَذّاتِ تَطلُبُها ... وَالنَفسُ إِن يَدعُها داعي الصِبا تَهِمِ

صَلاحُ أَمرِكَ لِلأَخلاقِ مَرجِعُهُ ... فَقَوِّمِ النَفسَ بِالأَخلاقِ تَستَقِمِ

وَالنَفسُ مِن خَيرِها في خَيرِ عافِيَةٍ ... وَالنَفسُ مِن شَرِّها في مَرتَعٍ وَخِمِ

تَطغى إِذا مُكِّنَت مِن لَذَّةٍ وَهَوًى ... طَغيَ الجِيادِ إِذا عَضَّت عَلى الشُكُمِ

إِن جَلَّ ذَنبي عَنِ الغُفرانِ لي أَمَلٌ ... في اللَهِ يَجعَلُني في خَيرِ مُعتَصِمِ

أَلقى رَجائي إِذا عَزَّ المُجيرُ عَلى ... مُفَرِّجِ الكَربِ في الدارَينِ وَالغَمَمِ

إِذا خَفَضتُ جَناحَ الذُلِّ أَسأَلُهُ ... عِزَّ الشَفاعَةِ لَم أَسأَل سِوى أُمَمِ

وَإِن تَقَدَّمَ ذو تَقوى بِصالِحَةٍ ... قَدَّمتُ بَينَ يَدَيهِ عَبرَةَ النَدَمِ

لَزِمتُ بابَ أَميرِ الأَنبِياءِ وَمَن ... يُمسِك بِمِفتاحِ بابِ اللَهِ يَغتَنِمِ

فَكُلُّ فَضلٍ وَإِحسانٍ وَعارِفَةٍ ... ما بَينَ مُستَلِمٍ مِنهُ وَمُلتَزِمِ

عَلَّقتُ مِن مَدحِهِ حَبلاً أُعَزُّ بِهِ ... في يَومِ لا عِزَّ بِالأَنسابِ وَاللُحَمِ

يُزري قَريضي زُهَيرًا حينَ أَمدَحُهُ ... وَلا يُقاسُ إِلى جودي لَدى هَرِمِ

مُحَمَّدٌ صَفوَةُ الباري وَرَحمَتُهُ ... وَبُغيَةُ اللَهِ مِن خَلقٍ وَمِن نَسَمِ

وَصاحِبُ الحَوضِ يَومَ الرُسلِ سائِلَةٌ ... مَتى الوُرودُ وَجِبريلُ الأَمينُ ظَمي

سَناؤُهُ وَسَناهُ الشَمسُ طالِعَةً ... فَالجِرمُ في فَلَكٍ وَالضَوءُ في عَلَمِ

قَد أَخطَأَ النَجمَ ما نالَت أُبُوَّتُهُ ... مِن سُؤدُدٍ باذِخٍ في مَظهَرٍ سَنِمِ

نُموا إِلَيهِ فَزادوا في الوَرى شَرَفًا ... وَرُبَّ أَصلٍ لِفَرعٍ في الفَخارِ نُمي

حَواهُ في سُبُحاتِ الطُهرِ قَبلَهُمُ ... نورانِ قاما مَقامَ الصُلبِ وَالرَحِمِ

لَمّا رَآهُ بَحيرًا قالَ نَعرِفُهُ ... بِما حَفِظنا مِنَ الأَسماءِ وَالسِيَمِ

سائِل حِراءَ وَروحَ القُدسِ هَل عَلِما ... مَصونَ سِرٍّ عَنِ الإِدراكِ مُنكَتِمِ

كَم جَيئَةٍ وَذَهابٍ شُرِّفَتْ بِهِما ... بَطحاءُ مَكَّةَ في الإِصباحِ وَالغَسَمِ

وَوَحشَةٍ لِابنِ عَبدِ اللَهِ بينَهُما ... أَشهى مِنَ الأُنسِ بِالأَحسابِ وَالحَشَمِ

يُسامِرُ الوَحيَ فيها قَبلَ مَهبِطِهِ ... وَمَن يُبَشِّر بِسيمى الخَيرِ يَتَّسِمِ

لَمّا دَعا الصَحبُ يَستَسقونَ مِن ظَمَإٍ ... فاضَت يَداهُ مِنَ التَسنيمِ بِالسَنَمِ

وَظَلَّلَتهُ فَصارَت تَستَظِلُّ بِهِ ... غَمامَةٌ جَذَبَتها خيرَةُ الدِيَمِ

مَحَبَّةٌ لِرَسولِ اللَهِ أُشرِبَها ... قَعائِدُ الدَيرِ وَالرُهبانُ في القِمَمِ

إِنَّ الشَمائِلَ إِن رَقَّت يَكادُ بِها ... يُغرى الجَمادُ وَيُغرى كُلُّ ذي نَسَمِ

وَنودِيَ اِقرَأ تَعالَى اللَهُ قائِلُها ... لَم تَتَّصِل قَبلَ مَن قيلَت لَهُ بِفَمِ

هُناكَ أَذَّنَ لِلرَحمَنِ فَامتَلأَتْ ... أَسماعُ مَكَّةَ مِن قُدسِيَّةِ النَغَمِ

فَلا تَسَل عَن قُرَيشٍ كَيفَ حَيرَتُها ... وَكَيفَ نُفرَتُها في السَهلِ وَالعَلَمِ

تَساءَلوا عَن عَظيمٍ قَد أَلَمَّ بِهِمْ ... رَمى المَشايِخَ وَالوِلدانِ بِاللَمَمِ

يا جاهِلينَ عَلى الهادي وَدَعوَتِهِ ... هَل تَجهَلونَ مَكانَ الصادِقِ العَلَمِ

لَقَّبتُموهُ أَمينَ القَومِ في صِغَرٍ ... وَما الأَمينُ عَلى قَولٍ بِمُتَّهَمِ

فاقَ البُدورَ وَفاقَ الأَنبِياءَ فَكَمْ ... بِالخُلقِ وَالخَلقِ مِن حُسنٍ وَمِن عِظَمِ

جاءَ النبِيّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَتْ ... وَجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَرِمِ

يَزينُهُنَّ جَلالُ العِتقِ وَالقِدَمِ ... آياتُهُ كُلَّما طالَ المَدى جُدُدُ

يَكــادُ في لَفظَــةٍ مِنــهُ مُشَــرَّفَةٍ ... يوصـيكَ بِالحُـقِّ وَالتَقـوى وَبِالـرَحِمِ

يا أَفصَـحَ النـاطِقينَ الضـادَ قاطِبَـةً ... حَـديثُكَ الشَـهدُ عِندَ الـذائِقِ الفَهِـمِ

حَلَّيتَ مِـن عَطَـلٍ جِيـدَ البَيـانِ بِـهِ ... في كُـلِّ مُنتَثِـرٍ في حُسـنِ مُنـتَظِمِ

بِكُـلِّ قَـولٍ كَـريمٍ أَنـتَ قائِلُـهُ ... تُحـيِ القُلـوبَ وَتُحـيِ مَيِّـتَ الهِمَـمِ

سَـرَت بَشـائِرُ بِالهـادي وَمَولِـدِهِ ... في الشَرقِ وَالغَربِ مَسرى النورِ في الظُلَمِ

تَخَطَّفَـتْ مُهَـجَ الطـاغينَ مِـن عَـرَبٍ ... وَطَيَّـرَت أَنفُـسَ البـاغينَ مِـن عُجُـمِ

ريعَت لَهَا شَرَفُ الإيوانِ فَانصَدَعَتْ ... مِن صَدمَةِ الحَقِّ لا مِن صَدمَةِ القُدُمِ

أَتَيـتَ وَالنـاسُ فَوضـى لا تَمُـرُّ بِهِـمْ ... إِلا عَلـى صَـنَمٍ قَـد هـامَ في صَـنَمِ

وَالأَرضُ مَملـوءَةٌ جَـورًا مُسَـخَّرَةٌ ... لِكُـلِّ طاغِيَـةٍ في الخَلـقِ مُحـتَكِمِ

مُسَـيطِرُ الفُـرسِ يَبغـي في رَعِيَّتِـهِ ... وَقَيصَـرُ الـرومِ مِـن كِـبرٍ أَصَـمُّ عَـمِ

يُعَـذِّبانِ عِبـادَ اللَهِ في شُـبَهٍ ... وَيَـذبَحانِ كَمـا ضَـحَّيتَ بِالغَـنَمِ

وَالخَلـقُ يَفتِـكُ أَقـواهُمْ بِأَضـعَفِهِمْ ... كَاللَيـثِ بِالـبَهْمِ أَو كَـالحوتِ بِالـبَلَمِ

أَسـرى بِـكَ اللهُ لَـيلاً إِذ مَلائِكُـهُ ... وَالرُسلُ في المَسجِدِ الأَقصى عَلى قَدَمِ

لَمّـا خَطَـرتَ بِـهِ اِلتَفّـوا بِسَـيِّدِهِمْ ... كَالشُـهبِ بِالبَـدرِ أَو كَالجُنـدِ بِالعَلَـمِ

صَـلّى وَراءَكَ مِـنهُمْ كُـلُّ ذي خَطَـرٍ ... وَمَـن يَفُـز بِحَبيـبِ اللهِ يَأتَمِـمِ

جُبتَ السَماواتِ أَو ما فَوقَهُنَّ بِهِمْ ... عَلـى مُنَـوَّرَةٍ دُرِّيَّـةِ اللُجُـمِ

رَكوبَـةً لَـكَ مِـن عِـزٍّ وَمِـن شَـرَفٍ ... لا في الجِيـادِ وَلا في الأَينُـقِ الرُسُـمِ

مَشـيئَةُ الخـالِقِ البـاري وَصَـنعَتُهُ ... وَقُـدرَةُ اللهِ فَـوقَ الشَـكِّ وَالـتُهَمِ

حَـتّى بَلَغـتَ سَمـاءً لا يُطـارُ لَهـا ... عَلـى جَنـاحٍ وَلا يُسـعى عَلـى قَـدَمِ

وَقيـلَ كُـلُّ نَـبِيٍّ عِنـدَ رُتبَتِـهِ ... وَيا مُحَمَّـدُ هَـذا العَـرشُ فَاسـتَلِمِ

خَطَطتَ لِلـدينِ وَالـدُنيا عُلومَهُما ... يا قـارِئَ اللَوحِ بَـل يا لامِـسَ القَلَـمِ

أَحَطتَ بَينَهُما بِالسِرِّ وَانكَشَفَت ... لَـكَ الخَـزائِنُ مِـن عِلـمٍ وَمِـن حِكَـمِ

وَضاعَفَ القُربُ ما قُلِّدتَ مِن مِنَنٍ ... بِـلا عِـدادٍ وَمـا طُوِّقـتَ مِـن نِعَـمِ

سَل عُصبَةَ الشِركِ حَولَ الغارِ سائِمَةً ... لَـولا مُطـارَدَةُ المُختـارِ لَم تُسَـمَ

هَل أَبصَروا الأَثَرَ الوَضّاءَ أَم سَمِعوا ... هَمسَ التَسابيحِ وَالقُرآنِ مِـن أُمَـمِ

وَهَـل تَمَثَّـلَ نَسـجُ العَنكَبـوتِ لَهُـمْ ... كَالغابِ وَالحائِماتُ الزُغْبُ كَالرُخَمِ

فَـأَدبَروا وَوُجـوهُ الأَرضِ تَلعَـنُهُمْ ... كَباطِـلٍ مِـن جَـلالِ الحَـقِّ مُنهَـزِمِ

لَـولا يَـدُ اللهِ بِالجـارَينِ مـا سَـلِما ... وَعَينُـهُ حَـولَ رُكـنِ الـدينِ لَم يَقُـمِ

تَـوارَيا بِجَنـاحِ اللهِ وَاسـتَتَرا ... وَمَـن يَضُـمُّ جَنـاحُ اللهِ لا يُضَـمِ

يا أَحمَـدَ الخَـيرِ لي جـاهٌ بِتَسـمِيَتي ... وَكَيـفَ لا يَتَسـامى بِالرَسـولِ سَمـي

المـادِحونَ وَأَربابُ الهَـوى تَبَـعٌ ... لِصاحِبِ البُردَةِ الفَيحاءِ ذي القَدَمِ

مَديحُـهُ فيـكَ حُـبٌّ خـالِصٌ وَهَـوًى ... وَصـادِقُ الحُـبِّ يُملي صـادِقَ الكَلَـمِ

اللهُ يَشـهَدُ أَنّي لا أُعارِضُـهُ ... من ذا يُعارِضُ صَوبَ العارِضِ العَرِمِ

وَإِنَّمـا أَنا بَعـضُ الغـابِطينَ وَمَـنْ ... يَغـبِط وَلِيَّـكَ لا يُـذمَم وَلا يُلَـمِ

هَـذا مَقـامٌ مِـنَ الـرَحمَنِ مُقتَـبَسٌ ... تَرمـي مَهابَتُـهُ سَـحبانَ بِالـبَكَمِ

البَـدرُ دونَـكَ في حُسـنٍ وَفي شَـرَفٍ ... وَالبَحـرُ دونَـكَ في خَـيرٍ وَفي كَـرَمِ

شُمُّ الجِبالِ إِذا طاوَلتَها اِنخَفَضَتْ ... وَالأَنجُمُ الزُهرُ ما واسَمتَها تَسِمِ

وَاللَيثُ دونَكَ بَأسًا عِندَ وَثبَتِهِ ... إِذا مَشَيتَ إِلى شاكي السِلاحِ كَمي

تَهفو إِلَيكَ وَإِن أَدمَيتَ حَبَّتَها ... في الحَربِ أَفئِدَةُ الأَبطالِ وَالبُهَمِ

مَحَبَّةُ اللَهِ أَلقاها وَهَيبَتُهُ ... عَلى اِبنِ آمِنَةٍ في كُلِّ مُصطَدَمِ

كَأَنَّ وَجهَكَ تَحتَ النَقعِ بَدرُ دُجًى ... يُضيءُ مُلتَثِمًا أَو غَيرَ مُلتَثِمِ

بَدرٌ تَطَلَّعَ في بَدرٍ فَغُرَّتُهُ ... كَغُرَّةِ النَصرِ تَجلو داجِيَ الظُلَمِ

ذُكِرتَ بِاليُتمِ في القُرآنِ تَكرِمَةً ... وَقيمَةُ اللُؤلُؤِ المَكنونِ في اليُتُمِ

اللَهُ قَسَّمَ بَينَ الناسِ رِزقَهُمُ ... وَأَنتَ خُيِّرتَ في الأَرزاقِ وَالقِسَمِ

إِن قُلتَ في الأَمرِ لا أَو قُلتَ فيهِ نَعَم ... فَخيرَةُ اللَهِ في «لا» مِنكَ أَو «نَعَمِ«

أَخوكَ عيسى دَعا مَيتًا فَقامَ لَهُ ... وَأَنتَ أَحيَيتَ أَجيالاً مِنَ الرَّمَمِ

وَالجَهلُ مَوتٌ فَإِن أوتيتَ مُعجِزَةً ... فَابعَث مِنَ الجَهلِ أَو فَابعَث مِنَ الرَجَمِ

قالوا غَزَوتَ وَرُسلُ اللَهِ ما بُعِثوا ... لِقَتلِ نَفسٍ وَلا جاؤوا لِسَفكِ دَمِ

جَهلٌ وَتَضليلُ أَحلامٍ وَسَفسَطَةٌ ... فَتَحتَ بِالسَيفِ بَعدَ الفَتحِ بِالقَلَمِ

لَمّا أَتى لَكَ عَفوًا كُلُّ ذي حَسَبٍ ... تَكَفَّلَ السَيفُ بِالجُهّالِ وَالعَمَمِ

وَالشَرُّ إِن تَلقَهُ بِالخَيرِ ضِقتَ بِهِ ... ذَرعًا وَإِن تَلقَهُ بِالشَرِّ يَنحَسِمِ

سَلِ المَسيحِيَّةَ الغَرّاءَ كَم شَرِبَتْ ... بِالصابِ مِن شَهَواتِ الظالِمِ الغَلِمِ

طَريدَةُ الشِركِ يُؤذيها وَيوسِعُها ... في كُلِّ حينٍ قِتالاً ساطِعَ الحُدَمِ

لَولا حُماةٌ لَها هَبّوا لِنُصرَتِها ... بِالسَيفِ ما انتَفَعَت بِالرِفقِ وَالرُحَمِ

لَـولا مَكـانٌ لِعيسـى عِنـدَ مُرسِـلِهِ ... وَحُرمَـةٌ وَجَبَـت لِلـروحِ في القِـدَمِ

لَسُمِّرَ البَدَنُ الطُهْرُ الشَريفُ عَلى ... لَـوحَينِ لَم يَخـشَ مُؤذيـهِ وَلَم يَجِـمِ

جَلَّ المَسيحُ وَذاقَ الصَلبَ شانِئُهُ ... إِنَّ العِقـابَ بِقَـدرِ الـذَنبِ وَالجُـرُمِ

أَخـو النَـبِيِّ وَروحُ اللهِ في نُـزُلٍ ... فَـوقَ السَـماءِ وَدونَ العَـرشِ مُحتَـرَمِ

عَلَّمـتَهُمْ كُـلَّ شَـيءٍ يَجهَلـونَ بِـهِ ... حَـتّى القِتـالَ وَمـا فيـهِ مِـنَ الـذِّمَمِ

دَعَـوتَهُمْ لِجِهـادٍ فيـهِ سُـؤدُدُهُمْ ... وَالحَـربُ أُسُّ نِظـامِ الكَـونِ وَالأُمَـمِ

لَـولاهُ لَم نَـرَ لِلـدَولاتِ في زَمَـنٍ ... ما طـالَ مِن عُمُـدٍ أَو قَـرَّ مِن دُهُـمِ

تِلـكَ الشَـواهِدُ تَـترى كُـلَّ آوِنَـةٍ ... في الأَعصُرِ الغُرِّ لا في الأَعصُرِ الدُهُمِ

بِالأَمسِ مالَت عُروشٌ وَاعتَلَتْ سُرُرٌ ... لَـولا القَـذائِفُ لَم تَـثلَمْ وَلَم تَصُـمِ

أَشياعُ عيسـى أَعَـدّوا كُـلَّ قاصِـمَةٍ ... وَلَم نُعِـدَّ سِـوى حـالاتِ مُنقَصِـمِ

مَهما دُعيتَ إِلى الهَيجاءِ قُمتَ لَها ... تَرمـي بِأُسْـدٍ وَيَرمـي اللهُ بِالـرُجُمِ

عَلـى لِوائِـكَ مِـنهُم كُـلُّ مُنـتَقِمٍ ... للهِ مُسـتَقتِلٍ في اللهِ مُعتَـزِمِ

مُسَـبِّحٍ لِلِقـاءِ اللهِ مُضـطَرِمٍ ... شَـوقًا عَلـى سـابِحٍ كَـالبَرقِ مُضـطَرِمِ

لَو صادَفَ الدَهرَ يَبغي نَقلَةً فَرَمى ... بِعَزمِـهِ في رِحـالِ الـدَهرِ لَم يَـرِمِ

بيضٌ مَفاليلُ مِن فِعلِ الحُروبِ بِهِمْ ... مِـن أَسـيُفِ اللهِ لا الهِندِيَّـةُ الخُـذُمُ

كَم في التُرابِ إِذا فَتَّشتَ عَن رَجُلٍ ... مَن ماتَ بِالعَهدِ أَو مَن ماتَ بِالقَسَمِ

لَـولا مَواهِـبُ في بَعـضِ الأَنامِ لَمـا ... تَفـاوَتَ النـاسُ في الأَقـدارِ وَالقِـيَمِ

شَـريعَةٌ لَـكَ فَجَّـرتَ العُقـولَ بِهـا ... عَـن زاخِـرٍ بِصُـنوفِ العِلـمِ مُلـتَطِمِ

يَلوحُ حَولَ سَنا التَوحيدِ جَوهَرُها ... كَالحَلي لِلسَيفِ أَو كَالوَشيِ لِلعَلَمِ

غَرّاءُ حامَتْ عَلَيها أَنفُسٌ وَنُهًى ... وَمَن يَجِد سَلسَلاً مِن حِكمَةٍ يَحُمِ

نورُ السَبيلِ يُساسُ العالَمونَ بِها ... تَكَفَّلَتْ بِشَبابِ الدَهرِ وَالهَرَمِ

يَجري الزَمانُ وَأَحكامُ الزَمانِ عَلى ... حُكمٍ لَها نافِذٍ في الخَلقِ مُرتَسِمِ

لَمّا اعتَلَت دَولَةُ الإِسلامِ وَاتَّسَعَتْ ... مَشَتْ مَمالِكُهُ في نورِها التَّمَمِ

وَعَلَّمَتْ أُمَّةً بِالقَفرِ نازِلَةً ... رَعيَ القَياصِرِ بَعدَ الشاءِ وَالنَعَمِ

كَم شَيَّدَ المُصلِحونَ العامِلونَ بِها ... في الشَرقِ وَالغَربِ مُلكًا باذِخَ العِظَمِ

لِلعِلمِ وَالعَدلِ وَالتَمدينِ ما عَزَموا ... مِنَ الأُمورِ وَما شَدّوا مِنَ الحُزُمِ

سُرعانَ ما فَتَحوا الدُنيا لِمِلَّتِهِمْ ... وَأَهَلوا الناسَ مِن سَلسالِها الشَبِمِ

ساروا عَلَيها هُداةَ الناسِ فَهيَ بِهِمْ ... إِلى الفَلاحِ طَريقٌ واضِحُ العَظَمِ

لا يَهدِمُ الدَهرُ رُكنًا شادَ عَدلُهُمُ ... وَحائِطُ البَغيِ إِن تَلمَسهُ يَنهَدِمِ

نالوا السَعادَةَ في الدارَينِ وَاجتَمَعوا ... عَلى عَميمٍ مِنَ الرُضوانِ مُقتَسَمِ

دَع عَنكَ روما وَآثينا وَما حَوَتا ... كُلُّ اليَواقيتِ في بَغدادَ وَالتُوَمِ

وَخَلِّ كِسرى وَإِيوانًا يَدِلُّ بِهِ ... هَوى عَلى أَثَرِ النيرانِ وَالأَيُمِ

وَاترُك رَعمَسيسَ إِنَّ المُلكَ مَظهَرُهُ ... في نَهضَةِ العَدلِ لا في نَهضَةِ الهَرَمِ

دارُ الشَرائِعِ روما كُلَّما ذُكِرَتْ ... دارُ السَلامِ لَها أَلقَتْ يَدَ السَلَمِ

ما ضارَعَتها بَيانًا عِندَ مُلتَأَمٍ ... وَلا حَكَتها قَضاءً عِندَ مُختَصَمِ

وَلا احتَوَت في طِرازٍ مِن قَياصِرِها ... عَلى رَشيدٍ وَمَأمونٍ وَمُعتَصِمِ

مَـنِ الَّـذينَ إِذا سـارَت كَتـائِبُهُمْ ... تَصَـرَّفوا بِحُـدودِ الأَرضِ وَالـتُخَمِ

وَيَجلِسـونَ إِلى عِلـمٍ وَمَعرِفَـةٍ ... فَـلا يُـدانَونَ في عَقـلٍ وَلا فَهَـمِ

يُطَـأطِئُ العُلَمـاءُ الهـامَ إِن نَبَسـوا ... مِـن هَيبَـةِ العِلـمِ لا مِـن هَيبَـةِ الحُكُـمِ

وَيُمطَـرونَ فَمـا بِالأَرضِ مِـن مَحَـلٍ ... وَلا بِمَـن باتَ فَـوقَ الأَرضِ مِـن عُـدُمِ

خَلائِـفُ اللهِ جَلّـوا عَـن مُوازَنَـةٍ ... فَـلا تَقيسَـنَّ أَمـلاكَ الـوَرى بِهِـمِ

مَـن في البَرِيَّـةِ كَالفـاروقِ مَعدَلَـةً ... وَكَـابنِ عَبـدِ العَزيـزِ الخاشِـعِ الحَشِـمِ

وَكَالإِمـامِ إِذا مـا فَـضَّ مُزدَحِمًـا ... بِمَـدمَعٍ في مَـآقي القَـومِ مُـزدَحِمِ

الزاخِـرُ العَـذبُ في عِلـمٍ وَفي أَدَبٍ ... وَالناصِـرُ النَـدبُ في حَـربٍ وَفي سَلَمِ

أَو كَـابنِ عَفّـانَ وَالقُـرآنُ في يَـدِهِ ... يَحنـو عَلَيـهِ كَمـا تَحنـو عَلـى الفُطُـمِ

وَيَجمَـعُ الآيَ تَرتيبًـا وَيَنظُمُهـا ... عِقـدًا بِجيـدِ اللَيـالي غَـيرَ مُنفَصِـمِ

جُرحـانِ في كَبِـدِ الإِسـلامِ مـا اِلتَأَمـا ... جُرحُ الشَـهيدِ وَجُرحٌ بِالكِتـابِ دَمـي

وَمـا بَـلاءُ أَبي بَكـرٍ بِمُـتَّهَمٍ ... بَعـدَ الجَلائِـلِ في الأَفعـالِ وَالخِـدَمِ

بِالحَـزمِ وَالعَـزمِ حـاطَ الـدينَ في مِحَـنٍ ... أَضَـلَّتِ الحُلَـمَ مِـن كَهـلٍ وَمُحـتَلِمِ

وَحِـدنَ بِالراشِـدِ الفـاروقِ عَـن رُشـدٍ ... في المَـوتِ وَهـوَ يَقـينٌ غَـيرُ مُنـبَهِمِ

يُجـادِلُ القَـومَ مُسـتَلًّا مُهَنَّـدَهُ ... في أَعظَـمِ الرُسـلِ قَـدرًا كَيـفَ لَم يَـدُمِ

لا تَعـذُلوهُ إِذا طـافَ الـذُهولُ بِـهِ ... ماتَ الحَبيبُ فَضَلَّ الصَبُّ عَن رَغَمِ

يا رَبِّ صَـلِّ وَسَـلِّم مـا أَرَدتَ عَلـى ... نَزيـلِ عَرشِـكَ خَـيرِ الرُسـلِ كُلِّهِـمِ

إِلا بِـدَمعٍ مِـنَ الإِشـفاقِ مُنسَـجِمِ ... مُحـيِ اللَيـالي صَـلاةً لا يُقَطِّعُهـا

مُسَبِّحًا لَكَ جُنحَ اللَيلِ مُحتَمِلاً ... ضُرًّا مِنَ السُهدِ أَو ضُرًّا مِنَ الوَرَمِ

رَضِيَّةٌ نَفسُهُ لا تَشتَكي سَأَمًا ... وَما مَعَ الحُبِّ إِن أَخلَصتَ مِن سَأَمِ

وَصَلِّ رَبّي عَلى آلٍ لَهُ نُخَبٍ ... جَعَلتَ فيهِم لِواءَ البَيتِ وَالحَرَمِ

بيضُ الوُجوهِ وَوَجهُ الدَهرِ ذو حَلَكٍ ... شُمُّ الأُنوفِ وَأَنفُ الحادِثاتِ حَمى

وَأَهدِ خَيرَ صَلاةٍ مِنكَ أَربَعَةً ... في الصَحبِ صُحبَتُهُم مَرعِيَّةُ الحُرَمِ

الراكِبينَ إِذا نادى النَبِيُّ بِهِمْ ... ما هالَ مِن جَلَلٍ وَاشتَدَّ مِن عَمَمِ

الصابِرينَ وَنَفسُ الأَرضِ واجِفَةٌ ... الضاحِكينَ إِلى الأَخطارِ وَالقُحَمِ

يا رَبِّ هَبَّتْ شُعوبٌ مِن مَنِيَّتِها ... وَاستَيقَظَت أُمَمٌ مِن رَقدَةِ العَدَمِ

سَعدٌ وَنَحسٌ وَمُلكٌ أَنتَ مالِكُهُ ... تُديلُ مِن نِعَمٍ فيهِ وَمِن نِقَمِ

رَأى قَضاؤُكَ فينا رَأيَ حِكمَتِهِ ... أَكرِم بِوَجهِكَ مِن قاضٍ وَمُنتَقِمِ

فَالطُف لأَجلِ رَسولِ العالَمينَ بِنا ... وَلا تَزِد قَومَهُ خَسفًا وَلا تُسِمِ

يا رَبِّ أَحسَنتَ بَدءَ المُسلِمينَ بِهِ ... فَتَمِّمِ الفَضلَ وَامنَح حُسنَ مُختَتَمِ

سَألوني لِمَ لَم أرثِ أبي

سَـــــــــــأَلوني لِمَ لَمَ أَرثِ أَبي ... وَرِثاءُ الأَبِ دَيـــنٌ أَيُّ دَيـــن

أَيُّهـــا اللُـــوّامُ مـــا أَظلَمَكُـــم ... أَينَ لي العَقلُ الَّذي يُسعِدُ أَين

يا أَبي مـــا أَنـــتَ في ذا أَوَّلٌ ... كُـلُّ نَفسٍ لِلمَنـايا فَـرضُ عَـين

هَلَكَـــت قَبلَـــكَ ناسٌ وَقُـــرى ... وَنَعـــى النـــاعونَ خَـــيرَ الثِقَلَـــين

غايَـــةُ المَـــرءِ وَإِن طـــالَ المَـــدى ... آخِـــذٌ يَأخُـــذُهُ بِالأَصـــغَرَين

وَطَبيـــبٌ يَتَـــوَلّى عـــاجِزاً ... نافِضـاً مِـن طِبَّـهُ خُفَّـي حُنَـين

إِنَّ لِلمَـــوتِ يَـــداً إِن ضَـــرَبَت ... أَوشَكَت تَصدَعُ شَملَ الفَرقَدَين

تَنفُـــذُ الجَـــوَّ عَلـــى عِقبانِـــهِ ... وَتُلاقـــي اللَيـــثَ بَـــينَ الجَبَلَـــين

وَتَحُـــطُّ الفَـــرخَ مِـــن أَيكَتِـــهِ ... وَتَنـــالُ البَبَّغـــا في المِئَتَـــين

أَنا مَـــن مـــاتَ وَمَـــن مـــاتَ أَنا ... لَقِـــيَ المَـــوتَ كِـــلانا مَـــرَّتَين

نَحـــنُ كُنّـــا مُهجَـــةً في بَـــدَنٍ ... ثُمَّ صِـــرنا مُهجَـــةً في بَـــدَنَين

ثُمَّ عُـــدنا مُهجَـــةً في بَـــدَنٍ ... ثُمَّ نُلقـــى جُثَّـــةً في كَفَنَـــين

ثُمَّ نَحيـــا في عَلِـــيٍّ بَعـــدَنا ... وَبِـــهِ نُبعَـــثُ أولى البِعثَتَـــين

اِنظُـرِ الكَـونَ وَقُـل في وَصـفِهِ ... كُـلُّ هَـذا أَصـلُهُ مِـن أَبَـوَين

فَـإِذا مـا قيـلَ مـا أَصـلُهُما ... قُـل هُمـا الرَحمَـةُ في مَـرحَمَتَين

فَقَـــدا الجَنَّـــةَ في إيجـــادِنا ... وَنَعِمنـــا مِنهُمـــا في جَنَّتَـــين

وَهُمـــا العُـــذرُ إِذا مـــا أُغضِـــبا ... وَهُمـــا الصَـــفحُ لَنـــا مُستَرضِـــيَين

لَيـــتَ شِـــعري أَيُّ حَـــيٍّ لَم يَـــدِن ... بِالَّـــــذي دانا بِـــــهِ مُبتَـــــدِأَين

وَقَـــفَ اللَهُ بِنـــا حَيـــثُ هُمـــا ... وَأَمـــاتَ الرُســـلَ إِلّا الوالِـــدَين

مـــــا أَبي إِلّا أَخٌ فارَقتُـــــهُ ... وُدُّهُ الصِـــدقُ وَوُدُّ النـــاسِ مَـــين

طالَمـــــا قُمنـــــا إِلى مائِـــــدَةٍ ... كانَـــتِ الكِســـرَةُ فيهـــا كِســـرَتَين

وَشَـــــرِبنا مِـــــن إِناءٍ واحِـــــدٍ ... وَغَسَـــلنا بَعـــدَ ذا فيـــهِ اليَـــدَين

وَتَمَشَّـــــينا يَـــــدي في يَـــــدِهِ ... مَـــن رَآنا قـــالَ عَنّـــا أَخَـــوَين

نَظَـــرَ الـــدَهرُ إِلَينـــا نَظـــرَةً ... سَـــوَّتِ الشَـــرَّ فَكانَـــت نَظـــرَتَين

يا أَبي وَالمَـــوتُ كَـــأسٌ مُـــرَّةٌ ... لا تَـــذوقُ الـــنَفسُ مِنهـــا مَـــرَّتَين

كَيـــفَ كانَـــت ســـاعَةٌ قَضَّـــيتَها ... كُـــلُّ شَـــيءٍ قَبلَهـــا أَو بَعـــدُ هَـــين

أَشَـــرِبتَ المَـــوتَ فيهـــا جُرعَـــةً ... أَم شَـــرِبتَ المَـــوتَ فيهـــا جُـــرعَتَين

لا تَخَـــف بَعـــدَكَ حُـــزناً أَو بُكـــاً ... جَمَـــدَت مِـــنّي وَمِنـــكَ اليَـــومَ عَـــين

أَنـــتَ قَـــد عَلَّمتَـــني تَـــركَ الأَســـى ... كُـــلُّ زَيـــنٍ مُنتَهـــاهُ المَـــوتُ شَـــين

لَيـــتَ شِـــعري هَـــل لَنـــا أَن نَلتَقـــي ... مَـــرَّةً أَم ذا اِفـــتِراقُ المَلَـــوَين

وَإِذا مُـــتُّ وَأودِعـــتُ الثَـــرى ... أَنَلَقَّـــى حُفـــرَةً أَو حُفـــرَتَين

في رثاء تولستويُ

تولُستويُ تُجري آيَةُ العِلمِ دَمعَها ... عَلَيكَ وَيَبكي بائِسٌ وَفَقيرُ

وَشَعبٌ ضَعيفُ الرُكنِ زالَ نَصيرُهُ ... وَما كُلُّ يَومٍ لِلضَعيفِ نَصيرُ

وَيَندُبُ فَلّاحونَ أَنتَ مَنارُهُم ... وَأَنتَ سِراجٌ غَيَّبوهُ مُنيرُ

يُعانونَ في الأَكواخِ ظُلماً وَظُلمَةً ... وَلا يَملُكونَ البَثَّ وَهوَ يَسيرُ

تَطوفُ كَعيسى بِالحَنانِ وَبِالرِضى ... عَلَيهِم وَتَغشى دورَهُم وَتَزورُ

وَيأسى عَلَيكَ الدينُ إِذ لَكَ لُبُّهُ ... وَلِلخادِمينَ الناقِمينَ قُشورُ

أَيَكفُرُ بِالإِنجيلِ مَن تِلكَ كُتبُهُ ... أَناجيلُ مِنها مُنذِرٌ وَبَشيرُ

وَيَبكيكَ إِلفٌ فَوقَ لَيلى نَدامَةً ... غَداةَ مَشى بِالعامِرِيِّ سَريرُ

تَناوَلَ ناعيكَ البِلادَ كَأَنَّهُ ... يَراعٌ لَهُ في راحَتَيكَ صَريرُ

وَقيلَ تَوَلّى الشَيخُ في الأَرضِ هائِماً ... وَقيلَ بِدَيرِ الراهِباتِ أَسيرُ

وَقيلَ قَضى لَم يُغنِ عَنهُ طَبيبُهُ ... وَلِلطِبِّ مَن بَطشِ القَضاءِ عَذيرُ

إِذ أَنتَ جاوَرتَ المَعَرِّيَّ في الثَرى ... وَجاوَرِ رَضوى في التُرابِ ثَبيرُ

وَأَقبَلَ جَمعُ الخالِدينَ عَلَيكُما ... وَغالى بِمِقدارِ النَظيرِ نَظيرُ

جَماجِمُ تَحتَ الأَرضِ عَطَّرَها شَذىً ... جَناهُنَّ مِسكٌ فَوقَها وَعَبيرُ

بِهِنَّ يُباهي بَطنُ حَوّاءَ وَاِحتَوى ... عَلَيهُنَّ بَطنُ الأَرضِ وَهوَ فَخورُ

فَقُل يا حَكيمَ الدَهرِ حَدِّث عَنِ البِلى ... فَأَنتَ عَليمٌ بِالأُمورِ خَبيرُ

أَحَطتَ مِنَ المَوتى قَديماً وَحادِثاً ... بِما لَم يُحَصِّل مُنكِرٌ وَنَكيرُ

طَوانا الَّذي يَطوي السَمَواتِ في غَدٍ ... وَيَنشُرُ بَعدَ الطَيِّ وَهوَ قَديرُ

تَقادَمَ عَهدانا عَلى المَوتِ وَاِستَوى ... طَويلُ زَمانٍ في البِلى وَقَصيرُ

كَأَن لَم تَضِق بِالأَمسِ عِنّى كَنيسَةٌ ... وَلَم يُؤوِنِي دَيرٌ هُناكَ طَهورُ

أَرى راحَةً بَينَ الجَنادِلِ وَالحَصى ... وَكُلُّ فِراشٍ قَد أَراحَ وَثيرُ

نَظَرنا بِنورِ المَوتِ كُلَّ حَقيقَةٍ ... وَكُنّا كِلانا في الحَياةِ ضَريرُ

إِلَيكَ اِعتِرافي لا لِقَسٍ وَكاهِنٍ ... وَنَجوايَ بَعدَ اللَهِ وَهوَ غَفورُ

فَزُهدُكَ لَم يُنكِرهُ في الأَرضِ عارِفٌ ... وَلا مُتَعالٍ في السَماءِ كَبيرُ

بَيانٌ يُشَمُّ الوَحيُ مِن نَفَحاتِهِ ... وَعِلمٌ كَعِلمِ الأَنبِياءِ غَزيرُ

سَلَكتُ سَبيلَ المُترَفينَ وَلَذَّ لي ... بَنونَ وَمالٌ وَالحَياةُ غُرورُ

أَداةُ شِتائي الدِفءُ في ظِلِّ شاهِقٍ ... وَعُدَّةُ صَيفي جَنَّةٌ وَغَديرُ

وَمُتِّعتُ بِالدُنيا ثَمانينَ حِجَّةً. ... وَنَضَّرَ أَيّامي غِنىً وَحُبورُ

وَذِكرٌ كَضَوءِ الشَمسِ في كُلِّ بَلدَةٍ ... وَلا حَظَّ مِثلُ الشَمسِ حينَ تَسيرُ

فَما راعَني إِلّا عَذارى أَجَرنَني ... وَرُبَّ ضَعيفٍ تَحتَمي فَيُجيرُ

أَرَدتُ جِوارَ اللَهِ وَالعُمرُ مُنقَضٍ ... وَجاوَرتُهُ في العُمرِ وَهوَ نَصيرُ

صِباً وَنَعيمٌ بَينَ أَهلٍ وَمَوطِنٍ ... وَلَذّاتُ دُنيا كُلُّ ذاكَ نَزورُ

بِهِنَّ وَما يَدرينَ ما الذَنبُ خَشيَةٌ ... وَمِن عَجَبٍ تَخشى الخَطيئَةَ حورُ

أَوانِسُ في داجٍ مِنَ اللَيلِ موحِشٍ ... وَلِلَّهِ أُنسٌ في القُلوبِ وَنورُ

وَأَشبَهُ طُهرٍ في النِساءِ بِمَريَمٍ ... فَتاةٌ عَلى نَهجِ المَسيحِ تَسيرُ

تُسائِلُني هَل غَيَّرَ الناسُ ما بِهِم ... وَهَل حَدَثَت غَيرَ الأُمورِ أُمورُ

وَهَل آثَرَ الإِحسانَ وَالرِفقَ عالَمٌ ... دَواعي الأَذى وَالشَرِّ فيهِ كَثيرُ

وَهَل سَلَكوا سُبلَ المَحَبَّةِ بَينَهُم ... كَما يَتَصافى أُسرَةٌ وَعَشيرُ

وَهَل آنَ مِن أَهلِ الكِتابِ تَسامُحٌ ... خَليقٌ بِآدابِ الكِتابِ جَديرُ

وَهَل عالَجَ الأَحياءُ بُؤساً وَشِقوَةً ... وَقَلَّ فَسادٌ بَينَهُم وَشُرورُ

قُمِ اِنظُر وَأَنتَ المالِئُ الأَرضَ حِكمَةً ... أَأَجدى نَظيمٌ أَم أَفادَ نَثيرُ

أُناسٌ كَما تَدري وَدُنيا بِحالِها ... وَدَهرٌ رَخِيٌّ تارَةً وَعَسيرُ

وَأَحوالُ خَلقٍ غابِرٍ مُتَجَدِّدٍ ... تَشابَهَ فيها أَوَّلٌ وَأَخيرُ

تَمُرُّ تِباعاً في الحَياةِ كَأَنَّها ... مَلاعِبُ لا تُرخى لَهُنَّ سُتورُ

وَحِرصٌ عَلى الدُنيا وَمَيلٌ مَعَ الهَوى ... وَغِشٌّ وَإِفكٌ في الحَياةِ وَزورُ

وَقامَ مَقامَ الفَردِ في كُلِّ أُمَّةٍ ... عَلى الحُكمِ جَمٌّ يَستَبِدُّ غَفيرُ

وَحُوِّرَ قَولُ الناسِ مَولىً وَعَبدُهُ ... إِلى قَولِهِم مُستَأجِرٌ وَأَجيرُ

وَأَضحى نُفوذُ المالِ لا أَمرَ في الوَرى ... وَلا نَهيَ إِلّا ما يَرى وَيُشيرُ

تُساسُ حُكوماتٌ بِهِ وَمَمالِكٌ ... وَيُذعِنُ أَقيالٌ لَهُ وَصُدورُ

وَعَصرٌ بَنوهُ في السِلاحِ وَحِرصُهُ ... عَلى السِلمِ يُجري ذِكرَهُ وَيُديرُ

وَمِن عَجَبٍ في ظِلِّها وَهوَ وارِفٌ ... يُصادِفُ شَعباً آمِناً فَيُغيرُ

وَيَأخُذُ مِن قوتِ الفَقيرِ وَكَسبِهِ ... وَيُؤوي جُيوشاً كَالحَصى وَيَمورُ

وَلَمّا اِستَقَلَّ البَرَّ وَالبَحرَ مَذهَباً ... تَعَلَّقَ أَسبابَ السَماءِ يَطيرُ

منظر طلوع البدر

في صيف سنة ١٩١٠ كان الشاعر بالبحر عائماً من الأستانة، وكان البدر يشرق ذات ليلة، فاقترح عليه زملاءه في السفر أن يصف هذا المشهد البديع، فنظم قصيدة في مطلعها هذه الأبيات:

مَلِكَ السماءِ بَهرتَ في الأنوارِ ... ففداك كلُّ مُتَوّجٍ من ساري

لما طلعتَ على المياهِ تُنيرها ... سكنتْ وقد كانتْ بغير قَرَارِ

وزهتْ لناظرِها السماءُ وقَرَّ ما ... في البحر من عُبُبٍ[1] ومن تَيَّار

وأَهَلَّ للهِ السُّراةُ وأزلَفُوا ... لك في الكمالِ تحيةَ الإكبار

وتأَملوك فكل جارحةٍ لهم ... عَيْنٌ تُسامر نورَها وتُساري

والبدر منكَ على العوالِمِ يَجْتَلِي ... بِشْرَ الوجوهِ وزَحْمَةَ الأَبْصار

مُتقَدِمٌ في النور محجوبٌ به ... مُوفٍ على الآفاق بالأسْفار

يا دُرَّة الغَوَّاصِ أخْرجَ ظافراً ... يُمناه يَجْلوها على النُّظار

متهلِّلاً في الماء أبْدَى نصفَه ... يَسْمُو بها والنصف كاسٍ عار

وَافي بك الأفقُ السَّماء فأسفرتْ ... عن قُفْلِ ماسٍ في سِوَار نُضَار

ونَهضتَ يَزْهُو الكونُ منكَ بمنظرٍ ... ضاحٍ ويَحملُ منك تاجَ فَخَار

الماءُ والآفاقُ حولَكَ فِضَّةٌ ... والشُّهْبُ دينارٌ لدى دِينار

---

[1] الماء المتدفق

والفُلْكُ مُشرِقة الجوانبِ في الدُّجى يّبْــدو لهــا ذَيــلٌ مــن الأنــوار

بينْــا تَخطّــرُ في لجُــينٍ مــائجٍ إذ تَنْثَــنِي في عَسْــجدٍ زَخَّــار

وكأَنَّهــا والمــوجُ منــتظمٌ وقــد أوْفيــتَ ثمَّ دَنَــوْت كالمُحتــار

غْيــداءُ لاهيــةٌ تَخُــطَّ لأغيــدٍ شــعراً ليقــرأَه وأنــتَ القــاري

رحلة إلى الأندلس

نظمها الشاعر في منفاه أيام الحرب

اخـــتلافُ النَّهـــار والليـــل يُنســـي ... أذكـــرا لي الصَّـــبا وأيامَ أنســـي

وصِـــفا لي مُـــلاوةً[1] مـــن شـــبابٍ ... صُـــوِّرت مـــن تصـــوّرات ومَـــسّ

عصـفت كالصَّـبا[2] اللّعـوبِ ومـرّت ... سِـــنةً[3] حُلْـــوَةً ولـــذّةَ خَلْـــسٍ[4]

وسـلا مصـرَ هـل سـلا القلـبُ عنهـا ... أو أســا[5] جُرحَــه الزمــان المؤســى

كلمـــا مـــرّت الليـــالي عليـــهِ ... رقّ والعهـــدُ في الليـــالي تُقسّـــى[6]

مُســـتَطار[7] إذا البـــواخر رَنّـــت[8] ... أولَ الليـلِ أو عـوتْ بعـد جَـرس[9]

راهـب[10] في الضـلوع للسـفن فَطْـن[11] ... كلّمـــا ثُـــرْنَ شـــاعَهن بـــنَقس[12]

---

(1) الملاوة: البرهة من الدهر

(2) الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش

(3) السنة: النعاس

(4) خلس الشيء: أخذه في نهزة ومخاتلة

(5) أسا الجرح: داواه

(6) قساه تقسية: أي صيره قاسياً

(7) مستطار، استطير الشيء: طير وانتشر

(8) رن: أي صاح ورفع صوته بالبكاء

(9) الجرس: الصوت

(10) الراهب هو من تبتل لله واعتزل عن الناس إلى الدير طلباً للعبادة، ويشبه به القلب

(11) فطن للشيء: أي حذق به

(12) ضرب النواقيس

يا ابنـــةَ الـــيمّ[1] مـــا أبـــوكِ بخيـــلٌ ... مـــا لـــهُ مولَعـــاً بمنـــعٍ وحـــبس

أحـــرامٌ علـــى بلابلـــه الـــدَوْ ... حُ حـلالٌ للطـير مـن كـل[2] جِـنس

كـــلُّ دار أحـــقّ بالأهـــل إلاّ ... في خبيـثٍ مـن المـذاهب رِجْـس[3]

نَفَســي[4] مِرْجَــلٌ وقلــبي شِــراعٌ ... بهمـا في الـدموع سـيري وأرسـي

واجعلـي وجهَـك "الفنـارَ" ومجـرا ... كِ يـدَ"الثغر" بين"رمـل" و"مكـس"

وطـني لـو شُـغِلْتُ بالخُلـد عنـه ... نازعتـني إليـه في الخلـد نفسـي

وهفـا[5] بالفـؤاد في سلسـبيلٍ ... ظمـأ للسـواد[6] مـن "عـين شمـس"

شَـهِد اللهُ لم يَغِـب عـن جفـوني ... شخصُـه سـاعةً ولم يَخْـلُ حِسّـي

يُصـبح الفكـرُ و"المسـلّة" ناد ... يـه و "بالسَّـرحة الزكيّـة" يُمسـي

وكـأني أرى الجزيـرةَ أيكـاً[7] ... نَغَمـتْ طـيره بأرخـم جَـرس[8]

هـي "بلقـيسُ" في الخمائـل صَـرْحٌ[9] ... من عبابٍ[10] وصاحبٌ غيرُ نِكس[11]

---

(1) اليم: البحر

(2) الدوح: جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة

(3) الرجس: المأثم

(4) المرجل القدر من الحجارة والنحاس

(5) هنا أي أسرع

(6) السواد: ما حول البلدة من القرى

(7) الأيك: الشجر الكثير الملتف، وقيل الغيضة تنبت الدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر

(8) الجرس: الصوت أو خفية

(9) الصرح القصر وكل بناء عال

(10) العباب: الخوصة، والعباب معظم السيل، والعباب: ارتفاعه وكثرته

(11) النكس: الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه

حسبها أن تكونَ للنيل عِرساً قبلها لم يُجنَّ يوماً بِعرس

لبستْ بالأصيل حُلَّةَ وشيٍ بين صنعاء[1] في الثياب وقَس[2]

قدَّها النيلُ فاستحتْ فتوارتْ منه بالجسرِ بين عُرْيٍ ولُبس

وأرى النيلَ "كالعقيق"[3] بواديه وإن كان كوثرَ المتحسيّ[4]

أبنُ ماءِ السماءِ ذو الموكب الفخم الذي يَحسُر العيونَ ويُخسي[5]

لا ترى في ركابه غير مُثْنٍ بجميلٍ وشاكرٍ فضلَ غرس

وأرى "الجيزة" الحزينة ثَكْلَى لم تُفقْ بعد من مناحة"رمسي"[6]

كثرتْ ضجةَ السواقي عليه وسؤالَ اليراع[7] عنه بَهَمْس

وقيامَ النخيل ضفّرن شعراً وتجردن غير طَوقٍ وسَلْس[8]

وكأن الأهرام ميزانُ فرعو ن بيومٍ على الجبابر نحس

أو قناطيره تأنَّقَ فيها ألفُ جابٍ[9] وألف صاحب مَكْس[10]

روْعةٌ في الضحى ملاعِبُ جنٍّ حين يغشَى الدّجى حماها ويُغسي[1]

---

(1) صنعاء: قصبة بلاد اليمن، وقرية بباب دمشق

(2) ثوب قسى وتكسر قافه منسوب إلى قس وهو موضع بين العريش والفرماء من أرض مصر

(3) العقيق: كل سيل شقه ماء السيل، ويعني بالعقيق هنا عقيق المدينة وهو معروف

(4) المتحسى أي الشارب

(5) يخسي من خسا البصر كل واعيا

(6) رمسي: أي رمسيسس

(7) اليراع: القصب

(8) سلست النخلة سلساً: ذهب كربها

(9) جاب: الجابي الذي يجمع الخراج

(10) المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية

ورهـــينُ "الرمـــال" أفطـــسُ إلاَّ أنـــه صُـــنْع جنَّـــة غـــير فُطْـــس[٢]

تتجلَّـــى حقيقـــةُ النـــاس فيـــه سَـــبعُ الخَلْـــقُ في أســـارير إنســـي

لعـــبَ الـــدهرُ في ثـــراه صـــبياً والليـــالي كواعبـــاً غـــير عُـــنْس[٣]

ركِبت صُيّدُ[٤] المقادير عينيهِ لنَقْدٍ ومِخْلبيه لفَرس[٥]

فأصـــابت بـــه الممالـــكَ "كســـرى" "وهِـــرَقلا" "والعبقـــريّ الفرنســـي"

يا فـــؤادي لكـــل أمـــرٍ قـــرارٌ فيـــه يبـــدو وينجلـــي بعـــد لُـــبْس

عَقَلـــتْ[٦] جُـــةُ الأمـــورِ عقـــولاً كانـــتْ الحـــوتَ طـــولَ سبحٍ وغَـــسّ[٧]

غَرِقـــتْ حيـــث لا يُصـــاخُ بطـــافٍ أو غريـــقٍ ولا يُصـــاخ لِجـــسّ

فَلَـــكٌ يَكسِـــف الشـــموسَ نهـــاراً ويســـومُ البـــدورَ ليلـــةَ وَكْـــس[٨]

ومواقيـــت للأمـــور إذا مـــا بَلغتْهـــا الأمـــورُ صـــارتْ لِعَكْـــس

دولٌ كالرجـــال مرتهنـــاتٌ بقيـــامٍ مـــن الجـــدود وتَعْـــس

وليـــالٍ مـــن كـــل ذات سِـــوارٌ لطَمـــت كـــلَّ ربّ "رومٍ" "وفُـــرْس"

ســـدّدت بالهـــلال قوســـاً وســـلّتْ خنجـــراً ينفـــذان مـــن كـــل تُـــرس

---

(1) يغسي: يظلم

(2) فطس الرجل: تطأمنت قصبة أنفه وانتشرت في وجهه فهو أفطس، جمع فطس

(3) عنس جمع عانس وهي الجارية التي طال مكثها في أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج

(4) صيد: واحدها صائد

(5) الفرس: الافتراس

(6) عقلت: قيدت

(7) غس في البلاد غساً: دخل فيها ومضى قدما

(8) ليلة الوكس: أي ليلة دخول القمر في نجم منحوس

حكمتْ في القرون "خوفو" و"دارا" وعفت[1] "وائلا" وألوت "بعَبس"

أين "مروانُ" في المشارق عرشٌ أمويٌّ وفي المغارب كرسي[2]

سَقِمتْ شمسهم فردَّ عليها نورَها كلُّ ثاقب الرأي نَطْس[3]

ثم غابتْ وكل شمسٍ سوى هاتيك تَبْلَى وتَنْطوي تحت رمس[4]

وعظ "البحتريَّ" إيوانُ "كسرى" وشفتني[5] القصورُ من "عبد شمس"

رُبّ ليلٍ سريتُ والبرقُ طِرْفي وبِساطٍ طويتُ والريحُ عَنْسي[6]

أنْظم الشرقَ في "الجزيرة" بالغر ب وأطوي البلادَ حَزْناً[7] لدَهس[8]

في ديارٍ من الخَلائف[9] دَرسٍ ومنارٍ[10] من الطوائف طَمْس

وربىً كالجنان في كنفِ الزيتو ن خضرٍ وفي ذرا الكرم طُلْس[11]

لم يَرُعْني سوى ثَرىً قُرْطبيّ لمستْ فيه عِبْرَةَ الدهر خَمسي

يا وقي اللهُ ما أُصبّح منه وسَقَى صَفوةَ الحيا ما أُمسّي

---

(1) عفت: درست

(2) كرسي: أي عرش

(3) نطس أي عالم

(4) الرمس: القبر

(5) شفتني: أي وعظتني هي أيضاً وعظاً شافياً

(6) العنس: الناقة

(7) الحزن ما غلظ من الأرض

(8) الدهس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب

(9) الخلائف جمع خليفة

(10) المنار: العلم يجعل للطريق

(11) طلس: واحدها أطلس وهو ما لونه أسود تخالطه غبرة

قريـــةٌ لا تُعـــدّ في الأرض كانـــت تُمســـك الأرضَ أن تَميـــدَ وتُرْســـي

غَشِـــيت ســـاحلَ المحـــيط وغطَّـــتْ لجُّـــةَ الـــروم مـــن شـــراعٍ وقَلْـــسِ[1]

ركِـــب الـــدهرُ خـــاطري في ثراهـــا فـــأتى ذلـــك الحِمَـــى بعـــد حَـــدْس[2]

فتجلَّت ليَ القصورُ ومن فيها من العزّ في منازلَ قُعْس[3]

مـا ضَـفتْ[4] قـط في الملـوكِ علـى نـذ ل المعـــالي ولا تـــردّت بـــنَجْس

وكـــأني بلغـــتُ للعلـــمِ بيتـــاً فيـــه مـــالُ العقـــول مـــن كـــل دَرس

قُدُســـاً في الـــبلاد شـــرقاً وغـــرباً حجّـــه القـــومُ مـــن فقيـــهٍ وقَـــس

وعلـــى الجمعـــةِ الجلالـــةُ و"النـــا صرُ" نورُ الخميس[5] تحت الدَّرفس[6]

يُنـــزل التـــاجَ عـــن مفـــارقِ "دونٍ" ويُحِلّـــى بـــه جبـــينَ "الـــبرنس"

سِـــنةٌ مـــن كـــرىً وطيـــفُ أمـــانٍ وصحا القلبُ من ضلال وهَجْس[7]

وإذا الـــدارُ مـــا بهـــا مـــن أنـــيسٍ وإذا القـــومُ مـــا لهـــم مـــن مُحِـــسّ[8]

ورقيـــقٍ مـــن البيـــوت عتيـــقٍ جـاوز الألـفَ غـيرَ مـذموم حَـرْس[9]

---

(١) القلس: حبل السفينة

(٢) الحدس: السير على غير هداية

(٣) القعس: العز الثابت

(٤) ضفت: من ضفا: سبغ واتسع

(٥) الخميس: الجيش

(6) الدرفس: العلم الكبير

(7) الهجس: كل ما وقع في خلد الإنسان

(8) محس: أي حاس بهم

(9) الحرس: الدهر

أثـــــرٌ مـــــن "مُحَمَّد" وتُـــــراثٌ صـار "للـروح" ذي الـولاء الأمَـس[1]

بَلَـــــغَ الـــــنَّجْمَ ذِرْوةً وتنـــــاهى بين "ثَهْلان"[2] في الأساس و"قُدس"[3]

مَرْمَـــرٌ تَسْـــبَحُ النـــواظرُ فيـــه ويَطُـــول المـــدَى عليهـــا فتُرسـي

وسَـــوَارٍ[4] كأنهـــا في اســـتواءٍ أَلِفـــاَتُ الـــوزير[5] في عَـــرض طِـــرْس

فَـترَةُ الـدهر قـد كسـت سَـطَرْيها[6] مـا اكتسـى الهُـدْبُ مـن فُتـورٍ ونَعْـس

ويحهـــا كـــم تزيّنـــت لعلـــيمٍ واحـد الـدهر واسـتعدت لخمـس[7]

وكأن الرّفِيفَ[8] في مسرح العين مِلاءٌ مُدَنَّرات الدِمَقْس[9]

وكـــــأن الآيات في جانبيـــــه يَتَنـــزّلن مـــن معـــارج[10] قُـــدْس

مِنـبرٌ تحـت "مُنـذرٍ"[11] مـن جـلالٍ لم يـزلْ يكتسـيه أو تحـتَ "قُـسّ"

ومكـــانُ الكتـــابِ يُغريـــك رُيَّا وَرْده[12] غائبـــاً. فتـــدنو لِلَمـــس

---

(1) الأمس: الأقرب

(2) ثهلان: جبل بالعالية

(3) قدس: جبل عظيم بنجد

(4) السوار: واحدتها سارية وهي الاسطوانة "العمود"

(5) الوزير: يعني به ابن مقلة المشهور بجودة الخط

(6) سطريها: صفوفها

(7) ويحها كم تزينت لعليم: أي لمدرس عالم، واستعدت لإقامة الصلوات الخمس

(8) الرفيف: السقف

(9) الدمقس: الحرير

(10) المعارج: واحدها معرج وهو السلم والمصعد

(11) منذر: هو قاضي الأندلس منذر المعروف بالعدل والزهد

(12) ريا ورده: أي رائحة ورده

صَـنْعةُ "الـداخل"[1] المبـارك في الغَـر ب وآلٍ لـــه ميـــامينَ شُمْـــس[2]

من "لحمراء" جُلّلت بغُبار الدهر كالجُرح بين بُرءٍ ونُكس

كسـنَا الـبرق لـو محـا الضـوءُ لحظـاً لمحتهـا العيـونُ مـن طـول قَـبْس

حِصْن "غرناطة" ودارُ بني "الأحمر" من غافلٍ ويقظان نَدْس[3]

جلَّـل الـثلجُ دونهـا رأسَ "شِـيرى" فبـدا منـه في عصـائبَ بِـرس[4]

سَـــرْمدٌ شـــيْبُه ولم أر شـــيباً قبلـــه يُرجـــئ البقـــاءَ ويُنســـي

مشت الحادثاتُ في غُرَف "الحمراء" مَشْى النعِيّ في دار عُرْس

هتكـتْ عـزَّةَ الحجـاب وفضّـت سُـدَّةَ البـاب مـن سمـير وأُنـس

عَرَصَـاتٌ تخلَّـت الخيـلُ عنهـا واسـتراحت مـن احـتراسٍ وعَـسّ[5]

ومَغَـانٍ علـى الليـالي وِضَـاءٌ لم تَجِـدْ للعشـيَّ تَكـرارَ مَـسّ

لا تـرى غـيرَ وافـدين علـى التـا ريـخ سـاعِينَ في خشـوع ونَكْـس

نقَّلـوا الطَّـرفَ في نضـارةِ آسٍ مـن نقـوشٍ وفي عُصـارة وَرْس[6]

وقِبـابٍ مـن لا زَوَرْدٍ وتِـبْر كَـالرُّبى الشُّـمَّ بـين ظِـلٍّ وشمـس

---

(1) الداخل: هو عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام مؤسس الدولة الأموية والأندلس

(2) الشمس: الأباة

(3) الندس: الفهم

(4) عصائب برس: أي بيض كالقطن

(5) العس: احتراس الليل

(6) الورس: نبات أحمر اللون

وخطـــوطٍ تكفَّلـــت للمعـــاني ولألفاظهـــا بأزيـــنِ لـــبْس

وتـــرى مجلـــس السّـــباعِ خَـــلاءً مُقفـــر القـــاعِ مـــن ظبـــاءٍ وخُـــنْس

لا "الثُّـــريَّا" ولا جَـــواري الثـــريَّا يتنَـــزَّلْنَ فيـــه أقمـــارَ إِنْـــس

مَرْمَـــرٌ قامـــت الأســـودُ عليـــه كَلَّـــةَ الظَّفْـــر لَيّنـــات المَجَـــس

تنثُـــر المـــاءَ في الحْيِـــاض جمـــاناً يَتَنَـــزّى علـــى ترائـــبَ مُلْـــس

آخـــرَ العهـــد بالجزيـــرة كانـــت بَعْـــدَ عَـــرْكٍ مـــن الزمـــان وضَـــرْس[1]

فتراهـــا، تقـــولُ: رايـــةُ جـــيشٍ بادَ بالأمـــس بـــين أســـرٍ وَحَـــسّ[2]

ومفاتيحُهـــا مقاليـــدُ مُلْـــكٍ باعهـــا الـــوارثُ المُضِـــيعُ بـــبخْس

خـــرج القـــومُ في كتائـــبَ صُـــمٍّ عـــن حِفَـــاظٍ[3] كموكـــب الـــدفنِ خُـــرْس

ركِبـــوا بالبحـــار نعشـــاً وكانـــت تحـــت آبائهـــم هـــي العـــرشُ أمـــس

ربّ بانٍ لهـــــادمٍ وجَمُـــــوع لمشِـــــتٍّ ومحســـــن لمُخِـــــسّ

إمـــــرة النـــــاس هِمَّـــــةٌ لا تَأتَّي لجبـــــانٍ ولا تســـــنَّى لجِـــــبس[4]

وإذا مـــا أصـــاب بنيـــانَ قـــومٍ وَهْـــيُ خُلْـــق فإنـــه وَهْـــيُ أسّ

يا دياراً نزلـــتُ كالخُلْـــد ظِـــلاًّ وجَـــنىً دانِيـــاً وسَلْسَـــال أُنـــس

محسِناتِ الفصول لا ناجِزٌ[5] فيها بقيظٍ ولا جُمَادي بِقَرس[1]

---

(1) الضرس: من ضرس الزمان القوم اشتد عليهم

(2) الحس: القتل

(3) الحفاظ: الذب عن المحارم

(4) الجبس: الجبان

(5) شهر رجب أو صفر أو كل شهر من شهور الصيف

لا تحِـــسّ العيـــونُ فـــوق رُبَاهـــا غـيرَ حورٍحُـوَّ[2] المراشـف[3] لُعْـس[4]

كُسِـــيَت أفرُخـــي بِظلـــك رِيشـــاً وَرَبا في رباك واشـــــتدَّ غرســـــي

هـــم بنـــو مصـــر لا الجميـــلُ لـــديهم بمُضَـــــاعٍ ولا الصـــــنيعُ بمَنســـــي

مـــن لســـانٍ علـــى ثنائـــك وقْـــفٍ وَجَنَـــانٍ علـــى ولائـــك حَـــبْس

حســـبهم هـــذه الطلـــولُ عِظـــاتٍ مـــن جديـــد علـــى الـــدهور ودَرْس

وإِذا فاتـــــك التفـــــات إِلى المـــــا ضـي فقـد غـاب عنـك وجـهُ التأسّـي

---

(1) بقرس: ببارد

(2) حو المراشف أي سمر الشفاء وهو مستملح من النساء

(3) المراشف: الشفاه

(4) اللعس: سواد مستحسن في الشفة

عظات وخواطر

هذه الأبيات من قصيدة نظمها الشاعر ذكرى للمولد النبوي الشريف

سلوا قلبي غداةَ سلا وتابا ... لعلَّ على الجمالِ له عِتَابا

ويُسألُ في الحوادثِ ذو صوابٍ ... فهل تَركَ الجمالُ له صوابا؟

وكنتُ إذا سألتُ القلبَ يوماً ... تولَّى الدمعُ عن قلبي الجوابا

ولى بين الضلوع دمٌ ولحمٌ ... هما الواهي[1] الذي ثَكِلَ الشبابا

تَسرَّب في الدموع فقلتُ ولَّى ... وصفَّق في الضلوعِ فقلت ثابا[2]

ولو خُلِقتْ قلوبٌ من حديد ... لما حَمَلَتْ كما حَمَلَ العذابا

وكلُّ بِساطِ عيشٍ سوف يُطوى ... وإن طالَ الزمانُ به وطابا

كأَنَّ القلبَ بعدهُم غريبٌ ... إذا عادته ذكرى الأهلِ ذابا

ولا يُنبيكَ عن خُلُق الليالي ... كمن فقدَ الأَحبةَ والصِّحابا

أخا الدنيا، أرى دنياكَ أفعى ... تُبدَّل كلَّ آونةٍ إهابا

وأن الرُّقْط[3] أيقظ هاجعاتٍ ... وأترع[4] في ظلالِ السِلّم نابا

---

(1) الواهي الضعيف وثكل الشباب فقده والمقصود بالدم واللحم هنا القلب

(2) ثاب رجع بعد ذهاب

(3) جمع رقطاء وهي الحية على جلدها سواد مشوب بالبياض

(4) ترع أسرع إلى الشر

ومـــن عجـــب تُشـــيَّب عاشِـــقِيها ... وتُفنـــيِهم ومـــا بَرِحـــتْ كَعـــابا[1]

فمـــــن يغـــــترُّ بالـــــدنيا فـــــأني ... لبِسْـــتُ بهـــا فأبليـــتُ الثيـــابا

لهـــا ضَـــحِكُ القِيـــان[2] إلى غـــبيّ ... ولي ضـــحكُ اللبيـــب إذا تغـــابى

جنيْـــتُ بروضِـــها ورداً وشـــوكاً ... وذقـــتُ بكأْسِـــها شُـــهْداً وصَـــابا

فلـــم أر غـــيرَ حكـــمِ الله حكمـــاً ... ولـــم أر دون بـــاب الله بابـــا

ولا عظَّمْـــــتُ في الأَشـــــياء إلا ... صـــحيحَ العلـــم، والأدبَ اللُّبـــابا[3]

ولا كرَّمـــــتُ إلا وجـــــهَ حـــــرٍّ ... يقلِّـــدُ قومـــهَ المـــنَنَ الرَّغَـــابا[4]

ولم أرَ مثـــلَ جمـــعِ المـــالِ داءً ... ولا مثـــلَ البخيـــلِ بـــه مُصَـــابا

فـــلا تقتلْـــكَ شَـــهوتُه، وزِنْهـــا ... كمـــا تـــزنُ الطعـــامَ أو الشـــرابا

وخـــذ لبنيـــك والأيام ذخـــراً ... وأعـــط اللهَ حِصَّـــتَه احتســـابا[5]

فلـــو طالعـــتَ أحـــداث الليـــالي ... وجـــدتَ الفقـــرَ أقرَبَهـــا انتِيـــابا[6]

وأن الـــــبرَّ خـــــيرٌ في حيـــــاةٍ ... وأبقـــى بعـــد صـــاحبِه ثـــوابا

وأن الشـــــرَّ يصـــــدعُ فاعليـــــهِ ... ولم أر خـــــيَّراً بالشـــــر آبا

فرفقـــــاً بالبنـــــينَ إذا الليـــــالي ... علـــى الأعقـــاب أوقعـــتِ العِقَـــابا

---

(1) الجارية الناهد

(2) القيان جمع قينة وهي الأمة المغنية

(3) المختار الخالص

(4) الأرض الرغاب التي لا تسيل إلا من مطر كثير

(5) احتسب عند الله أمراً قدمه

(6) أنتابه أتاه مرة بعد أخرى

ولم يتقلَّـــدوا شـــكرَ اليتـــامى ولا ادَّرعـــوا[1] الـــدعاء المســـتجابا

عجبـــتُ لمعشـــرٍ صـــلوا وصـــاموا ظـــواهرَ خشـــيةٍ وتُقـــيً كِـــذَابا

وتُلفـــيهم حيـــالَ المـــالِ صـــمًّا إذا داعـــي الزَّكـــاةِ بهـــم أهـــابا[2]

لقـــد كتمـــوا نصـــيبَ اللهِ منـــهُ كـــأَن الله لم يُحـــصِ النّصـــابا

ومـــن يعِـــدلْ بحـــبِّ اللهِ شـــيئاً كحـــب المـــال، ضـــلَّ هـــوىً وخـــابا

أراد اللهُ بالفقـــــراءِ بـــــرا وبالأيتـــــام حُبًّـــــا وارتبـــــابا[3]

فـــربَّ صـــغيرِ قـــومٍ علَّمـــوه سمـــا وحمـــى المُسَـــوَّمةَ العِـــرابا[4]

وكـــان لقومـــه نفعـــاً وفخـــراً ولـــو تركـــوه كـــان أذىً وعـــابا[5]

فعلَّـــمْ مـــا اســـتطعت، لعـــل جـــيلا ســـيأتي يُحـــدثُ العَجَـــبَ العُجـــابا

ولا تُرهـــقْ[6] شـــبابَ الحـــيّ يأســـاً فـــإن اليـــأسَ يخـــترمُ[7] الشـــبابا

يريـــد الخـــالقُ الـــرزقَ اشـــتراكا وإن يـــكُ خـــصَّ أقوامـــاً وحـــابى[8]

فمـــا حَـــرَمَ المجـــدَّ جَـــنَى[9] يديـــه ولا نســـىَ الشـــقيَّ ولا المُصـــابا

---

(1) أدرع لبس الدرع

(2) أهاب به دعاه

(3) أرتب الصبي ارتيابا رباه حتى أدرك

(4) الخيل المسومة المرعبة والخيل العراب الكرائم

(5) العيب

(6) أرهقه طغيانا أغشاه إياه

(7) يستأصله

(8) حاباه اختصه ومال إليه

(9) الجني ما يجني من الشجر

ولـــولا البخـــلُ لم يهلْـــك فريـــقٌ ... علـــى الأقـــدارِ تلقـــاهُم غِضَـــابا

تعبـــتُ بأهلـــه لومـــاً، وقبلـــي ... دعـــاةُ الـــبر قـــد ســـئموا الخطـــابا

ولـــو أني خطبـــت علـــى جمـــاد ... فَجَـــرْتُ بـــه الينـــابيعَ العِـــذابا

ألم تَـــرَ للهـــواءِ جـــرى فأفضَـــى[1] ... إلى الأكـــواخِ واخـــترقَ القِبـــابا

وأن الشـــمسَ في الآفـــاق تَغْشَـــى ... حمـــى كســـرى كمـــا تغشـــى اليبـــابا[2]

وأن المـــاءَ تَـــرْوَي الأســـدُ منـــهُ ... ويَشْـــفِي مـــن تلعلعِهـــا[3] الكِـــلاَبا

وســـوَّى[4] الله بينكمـــو المنـــايا ... ووسَّـــدكُم مـــع الرسْـــل الـــترابا

---

(1) بلغ

(2) اليباب الفقر

(3) تلعلع الكلب دلع لسانه عطشاً

(4) جعلكم فيها سواء

بعد المنفى

هذه القصيدة أنشدت في دار الأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠
وكانت بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس

أنادي الرَّسْمَ[1] لو ملَكَ الجوابا ... وأَجزيهِ بدمعيَ لو أثابا

وقَلَّ لحقهِ العبراتُ تجري ... وإن كانت سوادَ القلب ذابا

سَبقْنَ مُقَبّلاتِ الترب عني ... وأَدَّيْنَ التحيةَ والخطابا

نثرتُ الدمع في الدَّمن[2] البوالي ... كنظمي في كواعبها[3] الشبابا

وقفتُ بها كما شاءتْ وشاءوا ... وقوفاً علَّمَ الصبرَ الذَّهابا

لها حقٌّ وللأحبابِ حقٌّ ... رّشفتُ وصالهم فيها حُبابا[4]

ومن شكَرَ المناجِمَ محسِناتٍ ... إذا التبرُ انجلى شكر الترابا

وبين جوانحي وافٍ ألوفٌ ... إذا لمح الديار مضى وثابا

رأي مَيْلَ الزمانِ بها فكانت ... على الأَيام صحبتُه عتابا

وداعاً أرض أندلسٍ وهذا ... ثنائي إن رضيت به ثوابا

وما أثنيت إلا بعد علمٍ ... وكم من جاهلٍ أثنى فعابا

---

(1) الرسم ما كان لاحقا بالأرض من آثار الدار

(2) آثار الديار

(3) الكواعب من الجواري ناهدات الثدي والمراد بها هنا الديار قبل أن تستحيل إلى دمن

(4) رشف الماء مصه بشفتيه والحباب الحب

تَخِـذْتُكِ مـوئلا[1] فحللـتُ أنـدي ... ذراً مـن وائـلٍ[2] وأعـزَّ غـابا

مُغَـرّبُ آدمٍ مـن دار عـدنٍ ... قضـاها في حمـاك لي اغـترابا[3]

شكرتُ الفُلْكَ يوم حويت رحْلي ... فيـا لمفـارقٍ شـكر الغُـرابا

فأنـتِ أرحتِـني مـن كـل أنـفٍ ... كـأنف الميْـتِ في النَّـزع انتصـابا

ومنظَـرِ كـلّ خـوَّانٍ يـراني ... بوجـه كـالبغيّ رمـى النقـابا

ولـيس بعـامرٍ بنيـانُ قـومٍ ... إذا أخلاقُهـم كانـت خـرابا

أحـقٌ كنـتِ للزَّهـراء سـاحاً ... وكنـتِ لساكن "الزاهـي" رحـابا؟

ولم تـك "جـور" أبهـى منـكِ وَرداً ... ولم تـكُ بابـلٌ أشـهى شـرابا؟

وأن المجـدَ في الـدنيا رحيـقٌ ... إذا طـال الزمـانُ عليـه طـابا؟

ألئـك أمـةٌ ضـربوا المعـالي ... بمشـرقها ومغربهـا قِبَـابا

جـرى كـدراً لهـم صـفوُ الليـالي ... وغايـةُ كـلّ صـفوٍ أن يُشـابا

مشـيّبَةُ القـرونِ أُديـلَ منهـا[4] ... ألم تـر قَرْنَهـا في الجـو شـابا

معلَّقَـةٌ تَنظَّـرُ صـولجاناً ... يخـرُّ عـن السـماء بهـا لِعـابا

تُعَـدُّ بهـا علـى الأمـمِ الليـالي ... ومـا تـدري السـنينَ ولا الحسـابا

ويا وطـني لقيتُـكَ بَعْـدَ يأْسٍ ... كـأني قـد لقيـت بـك الشـبابا

---

(1) وأل طلب النجاة والموئل الملجأ

(2) جبل وسميت به قبيلة من العرب

(3) إن الله الذي أخرج آدم من الجنة ليجعل الأرض منفاه قد قضى على أن يكون منفاي في جنة من حماك. وهذه مبالغة من الشاعر في تكريم هذه البلاد التي آوته وهو غريب

(4) أدال الله فلانا من فلان نزع الدولة من الثاني وحولها إلى الأول. والكلام على الشمس

وكـــلُّ مســـافرٍ ســـيؤوبُ يومـــاً ... إذا رُزِقَ الســـــــــــلامةَ والإيابا

ولـــو أني دُعيـــتُ لكنـــتَ دِيـــني ... عليـــه أُقابـــل الحـــتم المجـــابا[1]

أديـر إليـك قبـل البيـت وجهـي ... إذا فُهـــتُ الشـــهادةَ والمتـــابا

وقـــد سَـــبَقَتْ ركـــائبيَ القـــوافي ... مقلَّـــــدةً أزمتُهـــــا طِـــــرابا

تجـــوبُ الـــدهرَ نحـــوك والفيـــافي ... وتقـــــتحمُ الليـــاليَ لا العُبـــابا

وتُهـــديك الثنـــاء الحـــرَّ تاجـــاً ... علـــى تاجيـــكَ مؤتلقـــاً عجـــابا

هـــدانا ضـــوء ثغـــرِكَ مـــن ثـــلاثٍ ... كمـــا تَـــدي "المنـــوَّرةُ" الركـــابا

وقـــد غشَّـــى المنـــارُ البحـــرَ نـــوراً ... كنـــار "الطـــور" جَلَّـــت[2] الشـــعابا

وقيـــل الثغـــرُ، فـــاتأدتْ فأرْسَـــتْ ... فكانـــت مـــن ثـــراكَ الطُّهـــرِ قـــابا

فصـــفحاً للزمَـــانِ لصـــبحِ يـــومٍ ... بـــــه أضـــــحى الزَّمـــــانُ إليَّ تابا

وحيـــــا اللهُ فتيـــــاناً سِماحـــــاً ... كســـوا عِطْفَـــيَّ مـــن فخـــرٍ ثيـــابا

ملائكـــــةٌ إذا حَفُّـــــوكَ يومـــــاً ... أحبَّـــك كـــلُّ مـــن تلقَـــى وهـــابا

وإن حملتْـــكَ أيـــديهم بحـــوراً ... بلغـــتَ علـــى أكِفّهـــم الســـحابا

تلَّقـــــوْني بكـــــلَّ أغـــــرَّ زاهٍ ... كـــأن علـــى أسِـــرَّتِه شـــهابا

تـــرى الإيمـــانَ مُؤْتلقـــاً عليـــه ... ونـــورَ العلـــم وَالكَـــرمَ اللُّبـــابا(٣)

---

(1) دعيت إلى الموت نوديت والحتم المجاب هو الموت

(2) جلل الشيء غطاه وعمه

(٣) الخالص (٢) الوضاءة الحسن والنظافة (٣) الحساب

(٤) الحشاشة بقية الروح في المريض والتهاب الجلد

(٥) الغرثى جمع غرثان وهو الجائع والسغاب جمع ساغب وهو الجائع أيضاً

وتلمحُ من وضاءَةِ(٢) صفحتيه ... محيا مصرَ رائعةً كَعابا

وما أدبي لما أسَدَوه أهلٌ ... ولكِنْ من أحبَّ الشيءَ حابى

شبابَ النيل: إن لكم لصَوْتاً ... ملبَّى حين يُرفعُ مستجابا

فهُزُّوا (العرشَ) بالدعواتِ حتى ... يُخَفِّفَ عن كنانتِهِ العَذابا

أمن حرب البَسُوسِ إلى غَلاءٍ ... يكادُ يُعيدُها سَبعاً صِعابا؟

وهل في القومِ يوسفُ يتَّقيها ... ويُحسنُ حِسْبَةً(٣) ويَرَى صوابا

عبادك ربِّ قد جاعوا بمصرٍ ... أنيلاً سُقتَ فيهم أم سَرَابا

حنانك وأهدِ للحسنى تِجَاراً ... بها ملكوا المرافِقَ والرقابا

ورقَّقْ للفقيرِ بها قلوباً ... محجَّرةً وأكباداً صِلابا

أمن أكلَ اليتيم له عقابٌ ... ومن أكلَ الفقيرَ فلا عِقابا؟

أصيبَ من التِّجار بكل ضارٍ ... أشدَّ من الزمان عليه نابا

يكاد إذا غَذَاه أو كساه ... ينازعه الحشاشة(٤) والإهابا

وتسمعُ رحمةً في كُلِّ نادٍ ... ولستَ تحسُّ للبر انتدابا

أكلٌّ في كتَاب الله إلاَّ ... زَكاةَ المالِ ليست فيه بابا

إذا ما الطاعمون شكوْا وضجُّوا ... فدعْهُم واسمع الغَرْثَى(٥) السِّغابا

فما يبكون من ثُكْلٍ ولكن ... كما تصفُ المعدِّدة المصابا

ولم أر مثلَ سوق الخيرِ كسباً ... ولا كتِجَارة السوءِ اكتسابا

ولا كأولئك البؤساءِ شاءً ... إذا جوَّعتَهم انتشرت ذئابا

ولـــولا الـــبِرُّ لم يُبْعَـــثْ رســـولٌ ولم يَحمـــــلْ إلى قـــــومٍ كِتـــــابا

أيها العمال

هذه القصيدة نظمت سنة ١٩٢٣

أيُّها العمَّالُ أفنوا العمرَ كدًّا واكتسابا

واعْمُـــرُوا الأرضَ فلـــولا ... ســعيُكم أمســتْ يبــابا(١)

إنَّ لي نصـــحاً إلـــيكُم ... إن أذِنْـــتُمْ وعتـــابا

في زمـــان غَـــبِيَ النـــا ... صـــحُ فيـــه أو تغـــابى

أيـــن أنـــتم مـــن جـــدودٍ ... خَلَّـــدُوا هـــذا الـــترابا؟

قلدوه الأثَر المعجزَ والفنَّ العجابا

وكسوْه أبدَ الدهر من الفخرِ ثيابا

أتقَنـــوا الصـــنعةَ حـــتى ... أخـــذوا الخُلـــدَ اغتصـــابا

إن للمتقن عند الله والناسِ ثوابا

أتقِنوا يُحبِبْكُمْ الله ويرفعْكُم جنابا

أرضِيتمْ أن تُرَى مصر من الفنِّ خرابا؟

بعـــدَ مـــا كانـــتْ سمـــاءً ... لِلصـــناعاتِ وغـــابا

---

(١) الأرض اليباب الخراب

(٢) أي دأباً وخففت للضرورة

أيها الغادونَ كالنحلِ ارتياداً وطِلابا

في بكـــورِ الطـــير للـــرز قِ مجيئـــاً وذهـــابا
أطلبـــوا الحـــقَّ برفـــقٍ واجعلـــوا الواجـــب دابا(٢)

واستقيموا يفتَح الله لكمْ بابا فبابا

اهجروا الخمرَ تُطيعوا الله أو تُرضُوا الكِتابا

إنهـــا رِجْـــس فطـــوبَى لامـــرئٍ كـــفَّ وتابا
تُـــرْعِشُ الأَيـــدي ومـــن يـــر عـــشْ مـــن الصـــنَّاعِ خـــابا

إنما العاقلُ من يجعل للدهر حسابا

فـــاذكروا يـــومَ مشـــيبٍ فيـــه تَبكـــون الشـــبابا
إن للســـــن لهمَّـــــا حـــين تعلـــو وعـــذابا

فاجعلوا من مالِكم للشيب والضعف نِصابا

واذكـــروا في الصـــحة الـــدا ءَ إذا مـــا السُّـــقمُ نابا
واجمعـــوا المـــال ليـــومٍ فيـــه تلقـــون اعتصـــابا

قد دعاكم ذنبَ الهيئةِ داعٍ فأصابا

هي طاووسٌ وهلْ أحسنُه إلاَّ الذنابا؟

الصحافة

هذه الأبيات من قصيدة ألقيت في الاحتفال بتأليف نقابة تجمع الصحف العربية في سنة ١٩٢٠

لكـــل زمـــانٍ مضـــى آيـــةٌ وآيـــةُ هـــذا الزمـــانِ الصُّـــحُفْ
لســـانُ الـــبلادِ ونَـــبْضُ العبـــا د، وكهفُ الحقوق، وحربُ الجَنفْ(١)
تســيرُ مســيرَ الضُّــحى في الــبلا دِ، إذا العِلْـمُ مـزَّق فيهـا السَّـدَفْ(٢)
وتمشِـــي تُعَلِّـــمُ في أمـــةٍ كثـــيرة مـــن لا يَخُـــطُّ الأَلِـــف!
فيـا فتيـةَ الصُّـحفِ صـبراً إذا نبـا الـزرقُ فيهـا بكـم واختلـف
فـإن السـعادةَ غـيرُ الظهـو رِ، وغـيرُ الثـراء، وغـيرُ الـتَّرف
ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يُكتَنَفْ

خـذوا القصـدَ واقتنِعـوا بالكفـا ف وخلوا الفُضُولَ يَغُلْها السرف(٣)
وروموـــا النبـــوغَ فمـــن نالـــه تلقَّـــى مـــن الحـــظِّ أسـنى التُّحَـف
ومـــا الـــرّزق مجتنِـــبٌ حرفـــةً إذا الحـــظ لم يهجُـــرِ المحـــترِف

---

(١) الجنف الحيف (٢) السدف الظلام (٣) الفضول فضلات المال الزائدة عن الحاجة. وغالها السرف يغولها أتى عليها (٤) اليتيم اللؤلؤ المنقطع النظير
(٥) الخرائد العذارى (٦) منتصف شعبان (٧) الشرف أولا العلو والمجد. والشرف ثانيا الموضع العالي وهنا المسرح (٨) أي ومنبرقس بن ساعدة وهو أخطب خطباء الجاهلية
(٩) الغابرين الأتين والنطف جمع نطفة وهي أصل النسل

إذا آختِ الجوهَريَّ الحظو ظُ كفلنَ اليتيمَ له في الصدَفْ(٤)

وإن أعرضتْ عنه لم يحلُ في عُيونِ الخرائد(٥) غيرُ الخزف

رعى الله ليلَتكم، إنها تلتْ عنده ليلة المنتصَف(٦)

لقد طلعَ البرُّ من جُنحِها وأومأ إلى صُبحِها أن يقِف

جَلوتُمْ حَواشيها بالفنو نِ فمن كل فنٍّ جميلٍ طَرَف

فإن تسألوا ما مكان الفنو نِ فكم شرفٍ فوق هذا الشَّرَف(٧)

أريكة (موليرَ) فيما مضى وعرشُ (شِكسِبْيرَ) فيما سَلف

وعُودُ (ابن ساعدةٍ) (٨) في عكا ظَ إذا سال خاطِرهُ بالطَّرَف

فلا يرقيَنْ فيه إلا فتى إلى درجاتِ النبوغِ انصرف

تُعَلِّم حكمتُه الحاضرين وتسمعُ في الغابرينَ النُّطَف(٩)

ذكرى كارنارفون

كان للورد كارنارفون فضل العثور على كنوز الملك الشاب – توت عنخ آمون – بوادي الملوك. وقد توفى اللورد في الخامس من شهر ابريل سنة ١٩٢٣ بفندق الكونتنتال على إثر لسع بعوضة تسمم منها دمه فلم تمهله أكثر من خمسة عشر يوما وافاه في نهايتها القضاء.. وهذه الأبيات من قصيدة رثاه فيها الشاعر.

في المـوت مـا أعيـا وفي أسـبابهِ ... كـل امـرئٍ رَهـنٌ بِطَـيِّ كتابـهِ(١)

أسـدٌ لعمـرُك، مـنْ يمـوتُ بظُفْـرِه ... عنـد اللقـاءِ كمـن يمـوت بنابـهِ(٢)

إن نامَ عنـكَ فكـلُّ طـبٍّ نافـعٌ ... أو لم يـنمْ، فالطـبُّ مـن أذنابـه

داءُ النُّفـوسِ وكـلُّ داءٍ قبلـه ... هـمٌّ نسـينَ مجيئـه بذَهابـه(٣)

الـنفسُ حَـرْبُ المـوتِ إلا أنَّهـا ... أتـتِ الحيـاةَ وشُـغْلَها مـن بابـه(٤)

تَسَـعُ الحيـاةَ علـى طويـل بلائهـا ... وتضيقُ عنه على قصيرِ عذابه(١)

---

(١) ما أعيا أي ما أتعب وأعجز عن إدراك حقيقته. رهن بطي كتابه أي باق في الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهي أجله

(٢) لعمرك يقول النحاه أنه قسم اللام فيه لتوكيد الابتداء وهو مبتدأ خبره محذوف أي لعمرك قسمي أو ما أقسم به

(٣) الداء العلة والمرض. نسين أي النفوس

(٤) حرب الموت أي حرب للموت والمراد أنها تكرهه وتدافعه. أتت جاءت الضمير في شغلها للحياة والضمير في بابه للموت

هـو منـزلُ السـارِي وراحَـةُ رائـحٍ كُثـرَ النهـارُ عليـه في إتعابِـه(٢)

وشـفاءُ هـذي الـروحِ مـن آلامهـا ودواء هـذا الجسـمِ مـن أوْصـابه(٣)

مـــن ســـرَّه ألاَّ يمـــوتَ فبـــالعلا خَلَـدَ الرجـالُ وبالفَعـال النَّابِـه(٤)

مـا مـات مـن حـازَ الثـرى آثارَه واسـتولتِ الـدُّنيا علـى آدابـه(٥)

قـــلْ للمُـــدِلَّ بمالـــهِ وبجاهـــه وبمـا يُجِـلُّ النـاسُ مـن أنسـابِه(٦)

هـذا الأديمُ يصـدُّ عـن حُضَّـاره وينـامُ مـلءَ الجفـن عـن غُيَّابـه(٧)

إلا فـــتى يمشـــي عليـــه مجـــدَّداً ديباجتَيْـــه معَمَّـــراً لخرَابـــه(٨)

صـادتْ بقارعـةِ الصَّـعيدِ بعوضـةٌ في الجـو صـائدَ بازِه وعُقابِـه(٩)

وأصـاب خُرطـومُ الذبابـة صـفحةً خُلقـتْ لسـيفِ الهنـدِ أو لذُبابـه(١)

---

(١) بلاء الحياة ما فيها من ألم وهم. أي أن النفس تسع الحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهي وتضيق عن الموت. وتأباه وهو ليس فيه إلا شيء من الألم قصير

(٢)هو أي الموت. الساري الذي يقطع الليل سيراً. الرائح الذاهب. أتعابه مصدر أتعبه

(٣) وشفاء هذي الروح إلى آخر البيت متصل بالبيت الذي قبله. والاوصاب الاوجاح جمع وصب

(٤) العلا أما الرفعة والشرف وأما جمع عليا وهي المنزلة الرفيعة. الفعال النابه الفعل الشريف المذكور

(٥) حاز الشيء ضعه إليه. الثرى التراب الندى. الآثار جمع أثر وهو ما بقي من الشيء. استولت على آدابه غلبت عليها وتمكنت منها. الآداب جمع أدب وهو كل ما يتخرج به الإنسان من فضيلة من الفضائل

(٦) المدل بماله الخ الذي يتيه به على أقرانه. الجاه القدر والمزلة. يجل يعظم

(٧) الاديم الجلد المدبوغ، وقد يطلق على وجه الأرض وهو المراد هنا. يصد عن حضاره يعرض عنهم. الحضار جمع حاضر. جفن العين غطاؤها من أعلاها وأسفلها، والمراد العين نفسها. الغياب جمع غائب

(٨) الديباجتان الخدان. أي الا فتى يمشي على وجه الأرض يجدد خديه والمراد ما يكون له كالخدين لوجه الإنسان

(٩) القارعة الشديدة من شدائد الدهر. الصعيد بلاد مصر العليا.الباز والعقاب من جوارح الطير. يقول أن تلك البعوضة صادت في الجو من كان يصيد بزاته وعقبانه

طـارتْ بخافيـة القضـاء ورَأرأتْ بكريمَتَيْـه ولامسـتْ بلُعابـه(٢)

لا تسـمعنَّ لعُصْـبةِ الأرواحِ مـا قـالوا بِباطـلِ علمهـمْ وكِذابـه(٣)

الـرُّوحُ للـرحمن جـلَّ جلالُـه هـي مـن ضـنائنِ علمـه وغِيابـه(٤)

غُلِبـوا علـى أعصـابهم فتوهَّمـوا أوهـامَ مغلـوبٍ علـى أعصـابه

مـا آبَ جَبَّـارُ القُـرونِ وإنمـا يـومُ الحسـابِ يكـونُ يـومَ إيابـه(٥)

فـذروه في بلـد العجائـب مغَمـداً لا تَشْـهَروه كـأمسِ فـوق رِقابـه(٦)

المسـتبدُّ يطـاقُ في ناووسـه لا تحـت تاجيـه وفـوق وِثابـه(٧)

والفـردُ يُـؤمَنُ شـرُّه في قـبره كالسيفِ نام الشرُّ خلفَ قِرابه(٨)

هـل كـانَ (تـوتَنْخٌ) تقمَّـصُ رُوحُـه قُمصَ البعوض ومُستخَسَّ إهابه(١)

---

(١) الخرطوم الأنف. المراد بالذبابة تلك البعوضة نفسها. وصفحة كل شيء جانبه. وذبابة السيف طرفه الذي يضرب به

(٢) الخافية واحدة الخوافي وهي ما دون الريشات العشر من مقدمة الجناح. القضاء هنا معناه الصنع والتقدير والمراد به قضاء الله. رأرأت يقال رأرأ بعينيه إذا حدد النظر أو إذا أدارهما. الكريمتين العينين. اللعاب ما يسيل من الفم. الضمير في طارت يرجع إلى الذبابة

(٣) العصبة من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين والمراد هنا الجماعة بغير عدد الكذاب الكذب

(٤) ضنائن علمه أي خصائص علمه مما اختص به نفسه فلا يعلم به سواه. غيابه أما جمع غيب وهو ما غاب عنك من الأمر وأما مصدر غاب يغيب وهو كالغيب في معناه

(٥) آب رجع. جبار القرون يريد توت عنخ آمون. يوم الحساب اليوم الآخر

(٦) ذروه اتركوه. بلد العجائب الأقصر لما فيها من عجائب الآثار. مغمداً أي باقياً في قبره كما يبقى السيف في غمده. لا تشهروه من شهر السيف إذا سله يعني لا تخرجوه محمولا على الرقاب كما كان يحمل على الرقاب التي يملكها وهو حي

(٧)المستبد من استبد بالشيء إذا انفرد به. يطاق من أطاق الشيء إذا قدر عليه. الناووس في مقبرة النصارى خاصة وقد استعمل لمقبرة سواهم. الوثاب السرير الذي لا يبرح الملك عليه

(٨) قراب السيف قيل هو غمده وقيل هو وعاء يوضع فيه السيف بغمده وقيل غير ذلك

أو كان يجزيك الردَى عن صُحبةٍ وهو القديمُ وفاؤه لصحابه(٢)

تالله لو أهدَى لك الهَرميْنِ من ذهب، لكان أقلَّ ما تُجْزَى به

أنت البشيرُ به، وقيَّمُ قصرِه ومقدَّمُ النبلاءِ من حُجابه(٣)

أعْلَمْتَ أقوامَ الزمانِ مكانَه وحشَدْتَهم في ساحِهِ ورِحابه(٤)

لولا بَنَانك في طَلاسِمِ تُربِه ما زادَ في شرفٍ على أَترابِه(٥)

---

(١) تقمص روحه قمص البعوض أي لبسها. والقمص جمع قميص. المستخس الخسيس. الاهاب الجلد الذي لم يدبغ

(٢) يجزيك يقضيه لك ويثيبك عليه. الردى الهلاك. الوفاء ضد الغدر. الصحاب جمع صاحب

(٣) البشير المبشر بالخير. قيم القصر سائس أمره. النبلاء جمع نبيل وهو الذكي النجيب. الحجاب جمع حاجب

(٤) أقوام جمع قوم. حشدتم جمعتم. الساح جمع ساحة وهي الموضع المتسع أمام الدار ونحوها. الرحاب جمع رحبة وهي الساحة

(٥) البنان أطراف الأصابع مفردها بنانة. الترب التراب. أترابه لداته جمع ترب أو هم

مملكة النحل

ألقيت هذه القصيدة في مجمع علمي بوزارة الزراعة بسطت فيه حياة النحل والدعوة إلى تربيته. وكان ذلك في سنة ١٩٢٣

مملكـــــــــةٌ مُـــــــــدَبَّرَهْ بامـــــــــرأةٍ مـــــــــؤمَّره

تحملُ في العُمَّال والصنَّاعِ عبءَ السيطرهْ

فأعجبْ لعمَّالٍ يُولْلونَ عليهم قيصرهْ

تحكُمُهُـــــــــمْ راهبـــــــــةٌ ذكَّـــــــــارة مُغـــــــــبِّرهْ(١)

عاقـــــــــدةٌ زُنَّارَهـــــــــا عـــــن ســـــاقها مشـــــمِّره

تلثَّمَـــــــــتْ بالأرجـــــــــوا نِ وارتدتْـــــــــه مئـــــــــزرهْ

وارتفعـــــــــتْ كَأنَّهـــــــــا شـــــــــرارة مُطيَّـــــــــرَهْ

ووقعـــــــــتْ لم تخـــــــــتلجْ كأنَّهـــــــــا مُســـــــــمَّرهْ(٢)

مخلوقـــــــــةٌ ضـــــــــعيفة مـــــن خُلُـــــقٍ مُصَـــــوَّرهْ

يامـــــــا أقـــــــلَّ ملكَهـــــــا ومـــــــا أجـــــــلَّ خطـــــــرهْ

قـــــفْ ســـــائلِ النحـــــلَ بـــــه بأيَّ عَقـــــــــلٍ دبَّـــــــــرهْ؟

---

(١) التغيير: ترديد الصوت بالقراءة

(٢) الاختلاج: الاضطراب

يُجِبكَ بالأخلاق وهيَ كالعقولِ جوهره

تغـــني قـــوى الأخـــلاقِ مـــا تغـــني القـــوى المفكَّـــرهْ
ويرفـــــــعُ الله بهـــــــا مَـــن شـــاءَ حـــتى الحشـــرهْ

أليس في مَمْلكةِ النَحْلِ لقومٍ تَبصرَهْ؟

ملـــــكٌ بنـــــاهُ أهلُـــــهُ بهمـــــةٍ ومُجـــــدرَهْ(١)

لو التمستَ فيه بطَّالَ اليدين لم تَرَهْ

تُقتَـــلُ أو تُنفـــى الكُســـا لَى فيـــه غـــيرَ مُنْـــذَرهْ
تحكـــم فيـــه قيصـــره في قومهـــا مـــوقَّرهْ
مـــن الرجـــالِ وقيـــو دِ حُكْمِهـــمُ محـــرَّرَهْ
لا تـــورثُ القـــومَ ولـــو كـــانوا البنـــينَ الـــبرَرَهْ

الملكُ للإناثِ في الدستورِ لا للذكرَهْ(٢)

نَـــيّرةٌ تَنـــزلُ عـــن هالتهـــا لنـــيرَّهْ
فهـــل تُـــرى تخشـــى الطَّمـــا عَ في الرجـــال والشَّـــرَهْ(٣)
فطالمـــــا تلاعَبُـــــوا بالهَمَـــــج المُصَـــــيَّرَه
وعـــــبروا غَفْلَتَهـــــا إلى الظهـــــور قَنطَـــــرَهْ

---

(١) يقال هذا الأمر مجدرة ذاك أي جدير به

(٢) الذكرة: الذكور

(٣)الطماع الطمع

وفي الرّجال كرمُ الضعفِ ولؤمُ المقدُرهَ

وفتنـــــةُ الـــــرأي ومـــــا ... وراءَهـــــا مـــــن أثـــــرهْ
أنثـــــى ولكـــــن في جنـــــا ... حَيْهـــــا لَبَـــــاةٌ مُخْـــــدِرَهْ(١)
ذائـــــدةٌ عـــــن حوضِـــــها ... طـــــاردةٌ مَـــــنْ كـــــدَّرَهْ
تقلَّـــــــــدَتْ إبرتَهَـــــــــا ... وادّرعـــــــتْ بالحَبَـــــــرَهْ
كأنهـــــــا تُركيَّـــــــةً ... قـــــد رابطـــــت بأنقُـــــرَهْ
كأنهـــــا (جانـــــدارك) في ... كتيبـــــــةٍ مُعســـــــكِرهْ
تَلقَـــــى المُغـــــيرِ بالجنـــــو ... دِ الخُشُـــــــن المنمَّـــــــرهْ
الســـــــابغين شِـــــــكَّةً(٢) ... البـــــالغين جَسَـــــرَهْ(٣)
قـــــد نَثَـــــرَتْهم جُعبـــــةً ... ونفضـــــتْهم مِئـــــبَرهْ(٤)
مَـــنْ يـــبنِ مُلكـــاً أو يَـــذُدْ ... فبالقنـــــــا المجـــــــرَّرهْ
إنَّ الأمـــــــورَ همـــــــةٌ ... لـــــيس الأمـــــورُ ثرثـــــرهْ
مـــــا الملـــــكُ إلاَّ في ذرا الـــــ ... ألويـــــــةِ المُنَشَّـــــــرَهْ
عرينـــــهُ مـــــذْ كـــــان لا ... يحميـــــه إلاَّ قَسْـــــوَرهْ(٥)

---

(١) اللباه: اللبوة
(٢) الشكة: السلاح
(٣) الجسرة : الجسارة
(٤) المئبره بيت الإبره
(٥) القسورة الأسد

رَبُّ النيـــــوبِ الـــــزُّرْقِ والمخالـــــبِ المـــــذكَّرهْ
مالكـــــــةٌ عاملـــــــةٌ مُصْـــــلحةٌ مُعَمِّـــــرَهْ
المـــــالُ في أتباعهـــــا لا تَســـــتبينُ أثـــــره
لا يعرفـــــون بيـــــنهم أصـــلاً لـــه مـــن ثُمـــرْه
لـــو عَرَفـــوه عَرَفـــوا مـــن الـــبلاءِ أكثـــرَهْ
واتخـــــذوا نقابـــــةً لأَمـــــرهم مســـــيِّرهْ

سبحانَ مَنْ نَزَّهَ عنهُ ملكَهمْ وطهَّرَهْ

وساســـــــه بِحَّـــــرةٍ عاملـــــةٍ مســـــخَّرهْ
صـــــاعدةٍ في معمـــــلٍ مـــن معمـــلٍ منحِـــدرهْ
واردةٍ دســـــــــكرةً صـــادرةٍ عـــن دســـكره(١)

باكرةٍ تستنهضُ العصائبَ المبكَّرهْ(٢)

السامعين الطائعينَ المحسنينَ المَهَرَه

مـــن كـــلّ مَـــنْ خـــطَّ البنـــا ءَ أو أقـــــامَ أسْـــــطُرَهْ
أو شـــــدَّ أصـــــلَ عقـــــدِهِ أو ســـــدَّه أو قَـــــوَّرهْ(٣)
أو طـــــاف بالمـــــاءِ علـــــى جدرانـــــه المجـــــدَّرهْ(٤)

---

(١) الدسكرة القرية

(٢) العصائب جمع عصبة

(٣) قور الشيء قطعه من وسطه خرقاً مستديراً

(٤) المجدرة المشيدة

وتـــذهبُ النحـــلُ خِفـــا فـــاً وتجـــئُ مُـــوقرَهْ

جوالبَ الشمعِ من الخمائل المنوَّرَهْ

حَوالـــبَ المـــاذيّ(١) مـــن زهـــرِ الـــرياضِ الشّـــيره(٢)

مشـــــــدودةٌ جيوبُهـــــا عَلَـــى الجَـــنَى مُـــزَرَّرَهْ

وكـــــلُّ خُرْطـــــومٍ أدا ةُ العَسَـــــلِ المُقَطَّـــــرَهْ

وكـــــلُّ أنـــــفٍ قـــــانئٍ فيـــه مـــن الشُّـــهدِ بُـــرَهْ(٣)

حـــــتى إذا جـــاءت بـــــه جاســـتْ خـــلالَ الأدوره(٤)

وغيَّبْتـــــــهُ كالسُّـــــــلا ف في الـــدِّنانِ المُحْضَـــرَه(٥)

فهـــل رأيـــتَ النحـــلَ عـــن أمانـــــــةٍ مُقصِّـــــــرهْ؟

مـــا اقترضـــتْ مـــن بَقلَـــةٍ أو اســـــتعارتُ زَهَـــــرَهْ

أدَّتْ إلى النَّـــــاس بـــــهِ سُـــــكَّرةً بســـــكَّرهْ

---

(١) الماذي العسل

(٢) الشيرة الحسان

(٣) البرة الحلقة في الأنف

(٤) الادورة الديار يراد بها الخلايا هنا

(٥) السلاف أفضل الخمر

توت عنخ آمون

هذه الأبيات نظمها الشاعر سنة ١٩٢٣ إثر العثور على مقبرة هذا الملك المصري القديم وما حوت من كنوز وتحف

قِفي يا أختَ (يُوشَع) خبِّرينا ... أحاديثَ القرونِ الغابرينا(١)

وقُصِّي من مصارعِهم علينا ... ومن دُولاتِهم ما تعلمينا(٢)

فمثلك من رَوى الأخبار طرّاً ... ومن نسبَ القبائلَ أجمعينا(٣)

نرى للكِ في السماءِ خضيبَ قرنٍ ... ولا نُحصِي على الأرض الطعينا(٤)

مشيتِ على الشباب شُواظَ نارٍ ... ودرتِ على المشيبِ رحى طحونا(٥)

تُعينينَ الموالد والمنايا ... وتبنينَ الحياةَ وتهدمينا(٦)

---

(١) الخطاب للشمس. وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس، فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم. وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله:

وما أنس لا أنس المليحة إذ بدت ... دحى فأضاء الأفق من كل موضع

فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت ... وأني قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرين، الأجيال الماضية.

(٢) قصى: حدثي، ومنه: "نحن نقص عليك أحسن القصص"، مصارعهم: مهالكهم دولاتهم جمع دولة بضم ففتح وهي الداهية يقال: "جاء الدهر بدولاته" أي بدواهيه.

(٣) طرا جميعاً من دون أن تترك منها شيئاً، نسب القبائل، ذكر أنسابهم.

(٤) الخضيب: الملون بالخضاب، القرن: حاجب الشمس: الطعين المطعون.

(٥)الشواظ بالضم والكسر: دخان النار

(٦) المنايا جمع منية وهي الموت

فيالـــكِ هِـــرَّةً أكلـــتْ بنيهـــا ... ومـــا وَلَـــدوا وتنتظـــر الجنينـــا(١)

أَ أُمَّ المـــالكينَ بـــني (أمـــونٍ) ... لِيهْنِـــكِ أنهـــم نزعـــوا (أمـــونا)(٢)

ولـدتِ لـه (المـآمين) الـدواهي ... ولم تَلِـدي لـــه قـــطّ (الأمينـــا)(٣)

فكانوا الشُّهْبَ حين الأرضُ ليل ... وحـــين النـــاس جِـــدُّ مُضَـــلَّلينا

مشتْ بمنارهم في الأرض (روما) ... ومـــن أنـــوارهم قَبســـت (أثينـــا)(٤)

ملـوكُ الـدهر بالـوادي أقـامُوا ... عَلَـــى (وادي الملـــوك) مُحَجَّبينـــا(٥)

فـــربَّ مصـــفَّدٍ مـــنهم وكانـــت ... تُســـاقُ لـــه الملـــوكُ مُصَـــفّدينا(٦)

تَقيَّـــدَ في الـــترابِ بغـــير قيْـــدٍ ... وحـــلَّ علـــى جوانبـــه رهينـــا

تعـالى الله كـان السـحر فـيهم ... أليســـوا للحجـــارةِ مُنطِقينـــا؟(٧)

---

(١) الهرة. القطة، ويقال في المثل "أعق من الهرة" لأنها تأكل أولادها. الجنين: الولد ما دام في الرحم

(٢) نزع أباه. أشبهه، وفيه إشارة إلى أم (أمون) واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه أو إحدى سراريه وكان من عاداتهم أن لا يتولى الملك إلا من كانت أمه زوجة شرعية لأبيه إلا أن (توت عنخ آمون) تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون آمون

(٣) إشارة للخليفتين. الأمين والمأمون. وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة. أي ولدت له أبناء صاروا ملوكاً وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون

(٤) روما عاصمة إيطاليا. قبست أخذت. أثينا عاصمة اليونان. وفيه إشارة إلى ما أخذته الأمم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة

(٥) وادي الملوك هو إلى الشاطئ الغربي للنيل بالأقصر على مسير نصف ساعة تقريباً وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشر وما بعدها وقد كانوا يبالغون في العناية بها وإتقانها إلى حد يفوق الوصف

(٦) مصفدين مقيدين، يصف فراعنة مصر في مقرهم الأخير. وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة

(٧) منطقين أي أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أنشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة شأنهم دلالة النطق على معناه وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناة

غَـدَوْا يبنـون مـا يبْقـى وراحـوا ... وراء الآبـــــــداتِ مُخلَّـــــــدينا

إذا عَمـــدوا لمـــأثرةٍ أعـــدُّوا ... لهـــا الإتقـــانَ والخلـــق المتينـــا

ولـــيس الخلـــدُ مرتبـــةً تُلقَّـــى ... وتُؤْخـــذ مـــن شـــفاه الجاهلينـــا

ولكـــن مُنتَهـــى هِمَـــمٍ كبـــار ... إذا ذهبـــتْ مصـــادِرُها بقينـــا

وســـرُّ العبقريـــةِ حـــين يســـري ... فينـــتظم الصـــنائع والفنـــونا

وآثارُ الرجـــال إذا تناهـــتْ ... إلى التـــاريخ خـــير الحاكمينـــا

وأخـذك مـن فـم الـدنيا ثنـاء ... وتركُـــك في مســـامعها طنينـــا(١)

فغـالِي في بنيـكِ الصـيدِ غـالي ... فقـــد حُـــبَّ الغُلـــوُّ إلى بنينـــا(٢)

شـــباب قنَّـــعٌ لا خـــير فـــيهم ... وبُـــورِكَ في الشـــبابِ الطامحينـــا(٣)

فنـاجيهم بعـرشٍ كـان صِـنْواً ... لعرشـــكِ في شِـــبيبته سَـــنينا(٤)

وكـــان العـــزُّ حلَيتَـــه وكانـــتْ ... قوائمـــهُ الكتائـــبَ والســـفينا(٥)

وتاج مـن فرائـده (ابـنُ سـيتي) ... ومـن خرزاتـه (خوفـو) و (مينـا)(١)

وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم قاطبة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب وقد قال أحد الحكماء: "كل شيء يخشى عليه من الدهر إلا الأهرام فإن الدهر يخشى عليه منها"

(١) الطنين صوت الذباب الطست والناقوس ونحو ذلك

(٢) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه يميناً وشمالاً. فقد حب بضم الحاء أي فقد حب

(٣) شباب قنع أي قانعون لا يطلبون شيئاً وراء ما بلغوا. الطامحون المتفائلون في طلب المعالي

(٤) الصنو الأخ الشقيق والابن. السنين بفتح السين من يكون في سنك

(٥) الكتائب جمع كتيبة وهي الجيش

عَــلاَ خــدّاً بــه صَــعَرٌ وأنفــاً ترفَّــع في الحــوادثِ أن يــدينا(٢)

ولســتُ بقائــل ظلمــوا وجــاروا على الأجـراء أو جلـدوا القطينـا(٣)

فــإنا لم نُــوَقَّ الــنَّقصَ حــتى نُطالــبَ بالكمــال الأوَّلينــا(٤)

ومـا (البسـتيلُ) إلا بنـت أمـس وكــم أكــلَ الحديــدُ بهـا ســجينا(٥)

ورُبَّــةَ بيعــةٍ عَــزَّتْ وطالــتْ بناهــا النــاسُ أمــس مُســخرينا(٦)

مُشَـيَّدةً لشـافي العُمـيِ (عيسـى) وكــم سَمَــلَ القســوس بهـا عيــونا(٧)

خليلــيَّ اهبطـا الــوادي ومــيلاً إلى غُــرف الشــمُوس الغاربينــا(١)

---

(١) ابن سيتي هو رمسيس الثاني المعروف بسوزستريس ويلقب بالأكبر لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه وولى الملك صغيراً في حياة والده. وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الأهوال فأرسله في جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب في جملة فتوح وبخاصة في آسية الشمالية. وكان في أيامه بنتاءور الشاعر المصري وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته واقدامه. "خوفو" و "مينا" من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطاً بعيداً في المدينة ومن آثارهما الخالدة الأهرامات

(٢) علا خدا أي ذلك التاج الصعران يميل الرجل بخده عن النظر إلى الناس تهاوناً وكبراً

(٣) القطين الخدم. أي أنه لا يجاري بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الاجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم في إنشاء تلك الأبنية

(٤) لم نوق النقص أي لم نحفظ منه

(٥) البستيل: سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفي هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل في فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفني بين جدرانه المظلمة مصلح كبير، وكم من سياسي جنى عليه عمله لخير بلاده فدخل حياً وفارقه ميتاً وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم (البستيل) فهدموه واقتلعوا أصوله وأخذت فتاة أحجاره فجعلها النسوة عقوداً يتحلين بها في أمكنة اللآلئ إشارة إلى غلبة الأمة على الظلم وانتقامهم من الظالمين وكان أخذه في ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩. وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ولا يزال الفرنسيون يحتفظون بذكره إلى الآن

(٦) البيعة بكسر الباء معبد النصارى، مسخرين: أي كلفوا عملهم بلا أجرة

(٧) سمل العين فقأها بحديدة محماة وقلعها

وســـيرا في محـــاجرهم رُويـــداً وطوفـــا بالمضـــاجع خاشـــعينا(٢)

وخُصَّـــا بالعمـــار وبالتَحـــايا رفـــاتَ المجـــدِ مـــن (توتنخمينـــا)(٣)

وقـــبراً كـــاد مـــن حســـنٍ وطيـــبٍ يضـــيءُ حجـــارةً ويضـــوعُ طينـــا(٤)

يُخـــال لروعـــةِ التـــاريخ قُـــدَّت جنادلـــهُ العـــلا مـــن (طـــور ســـينا)(٥)

وكـــان نزيلُـــه بالمَلَـــكِ يـــدعى فصـــار يقلـــب الكنـــزَ الثمينـــا(٦)

وقُوَمـــاً هـــاتفَيْن بـــه ولكـــن كمـــا كـــان الأوائـــلُ يهتفـــونا(٧)

فـــثَم جلالـــةٌ قـــرّت ورامـــت علـــى مـــرِ القـــرونِ الأربعينـــا(٨)

جـــلالُ الملـــك أيامٌ وتمضـــي ولا يمضـــي جـــلالُ الخالـــدينا(٩)

وقـــولا للنزيـــل قـــدوم ســـعد وحيـــا الله مقـــدمك اليمينـــا(١٠)

ســـلامٌ يـــوم وارتـــك المنـــايا بواديهـــا ويـــومَ ظهـــرتَ فينـــا(١)

---

(١) يريد بالشموس الغاربين ملوك الفراعنة وغرفهم مدافئهم

(٢) المحاجر ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقيال اليمن وهي إحماؤهم أي ما كان يحميه كل واحد منهم

(٣) العمارة التحية وهو أيضاً الريحان يزين به مجلس الشراب واستعماله هنا على الإطلاق إذ لا يليق أن يكون مقيداً بتزين هذا المجلس. التحايا جمع تحية. الرفات كل ما تكسر و بلى

(٤) يضوع يتحرك وينتشر أي كادت حجارته تضيء حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية

(٥) الروعة المسحة من الجمال. الجنادل جمع جندل وهو الحجارة. طور سيناء هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى

(٦) النزيل الضيف

(٧) هاتفين به أي بالملك الذي هو نزيل القبر وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له أيام حياته

(٨) فثم هناك الجلالة عظم القدر. رامت أقامت. القرون الأربعون هي التي مضت منذ عهد توت عنخ آمون

(٩) أي أن الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه في التاريخ أما جلال الملك فلا بقاء له

(١٠) اليمين المبارك وهو من اليمن

خرجت من القبور خروج عيسى عليـــكَ جلالـــةٌ في العالمينـــا(٢)

يجوب البرقُ باسمكَ كلَّ سهل ويخـــترقُ البُخـــارُ بـــه الحـــزُونا(٣)

تعـــال اليـــومَ خـــبرَّنا أكنـــت نـــواكَ ســـناتِ نـــومٍ أم ســـنينا؟(٤)

ومـاذا جبـتَ مـن ظلمـاتِ ليـلٍ بعيـدِ الصـبح يُنِضـي المُـدلجينا؟(٥)

وهـل تبقـى النفـوسُ إذا أقامـت هياكُلهـــا وتبلـــى إن بَلينـــا؟

ومـا تلـك القبـابُ وأيـن كانـت وكيـف أضـلّ حافرُهـا القـرونا؟(٦)

ممـــردَة البنـــاء تُخـــالُ برجـــا بـــبطن الأرض محطوطـــاً دفينـــا(٧)

تغَطـى بالأثاث فكـــان قصـــراً وبالصُـــوَرِ العِتـــاق فكـــان زونا(٨)

حملـتَ العـرشَ فيـه فهـل ترجّـى وتأمـــلُ دولـــة في الغابرينـــا؟(٩)

---

(١) وارتك أخفتك

(٢) خروج عيسى أي كما خرج عيسى من القبر على رأي النصارى وصاحب الديوان لا يعتقد ذلك وإنما ينظر فيه إلى رأيهم

(٣) يجوب يقطع. البرق اسم منقول من معناه الأصلي للتلغراف. والبخار اسم منقول كذلك للوابور أو هو من باب تسمية الشيء باسم المؤثر فيه. الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض

(٤) تعال اليوم الخ الخطاب لتوت عنخ آمون، نواك بعدك. السنات جمع سنة بكسر السين وهي النعاس

(٥) ينضى يهزل. المدلجون الذي يسيرون من أول الليل

(٦) وما تلك القباب الخ أي وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة وهي ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة والقرون جمع قرن وهو مائة عام

(٧) ممردة البناء مملسته

(٨) تغطي أي هذا البناء تغطي الخ والأثاث متاع البيت، الصور جمع صورة يريد بها الرسوم التي تحاكي صور الأشياء. العتاق جمع عتيق وهو القديم من كل شيء وهو النجيب من الخيل والجارح من الطير، الزون الموضع تجمع فيه الأصنام

(٩) في الغاربين في الباقين وفي القرآن الكريم: "فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين" ويكون أيضاً بمعنى الماضين فهو من الكلمات التي تستعمل للأضداد

وهل تَلَقى المهيمنَ فوق عرشٍ ... ويلقـــاه المـــلا مُتَرجلينـــا؟(١)

ومـا بالُ الطعـام يكـاد يقـدى ... كمـا تركتـه أيـدي الصـانعينا؟(٢)

ولم تـكُ أمـس تصـبرُ عنـه يومـاً ... فكيـف صـبرتَ أحقـاباً مئينـا(٣)

لقـد كـان الـذي حـذر الأوالي ... وخـاف بنـو زمانـك أن يكـونا(٤)

يحـب المـرءُ نـبش أخيـه حيـاً ... وينبشـــه ولـــو في الهالكينـــا

سُـللتَ مـن الحفـائر قبـل يـومٍ ... يَسُـل مـن الـتراب الهامـدينا(٥)

فـإن تـكُ عنـد بعـثٍ فيـه شـكٌ ... فـإن وراءه البعـثَ اليقينـا(٦)

ولـو لم يعصـموكَ لكـان خـيراً ... كفـى بالمـوت معتَصـماً حصـينا(٧)

يُضَـرُّ أخـو الحيـاةِ وليس شـيءٌ ... بضـائره إذا صـحبَ المنـونا

---

(١) المهيمن من أسماء الله تعالى. المترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم

(٢) ما بال الطعام ما حاله. يقدى من قدى الطعام أي طاب طعمه ورائحته

(٣) الأحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر، المئين جمع مائة

(٤) لقد كان أي لقد حصل الذي حذر الأوالي والأوالي جمع أول والمعنى أن ما كنتم تخافونه وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم قد حصل ولم تمنعه مبالغتكم في الوقاية منه

(٥) سللت أخرجت منها برفق، الحفائر جمع حفيرة وهي الحفرة، واليوم الذي يسيل الهامدين من التراب هو يوم القيامة

(٦) فإن تك عند بعث الخ أن فإن تكن الآن تشك في هذا البعث الذي خرجت به من قبرك فلا محالة سيأتي البعث الذي لا تشك فيه وهو بعث القيامة

(٧) يعصموك يمنعوك من المكروه. أي لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه لأن الموت يمنع الأذى أن يصل إليك، وجلاء هذا المعنى في البيت الثاني

مصر تجدد مجدها

ألقيت هذه القصيدة في حفل بمسرح حديقة الأزبكية سنة ١٩٢٠

قـــم حـــيِّ هـــذي النـــيراتِ حَـــيِّ الحسَـــانَ الخـــيِّراتِ
واخفِـــضْ جَبينَـــك هَيبـــةً للخُـــرَّد المتخفّـــراتِ(١)
زيْـــن المقاصِـــرِ والحجَـــا لِ وزيْـــن محـــرَابِ الصـــلاة(٢)
هـــذا مَقَـــامُ الأمّهَـــا ت، فهـــل قَـــدرتَ الأمهـــاتِ؟
لا تلـــغُ فيـــه ولا تَقُـــلْ غـــير الفواصِـــلِ محكمـــاَت(٣)
وإذا خطبـــتَ فـــلا تكـــن خطْبـــاً عَلَـــى مِصـــرَ الفتـــاةَ
أذكـــرْ لهـــا اليـــابانَ لا أمـــمَ الهـــوى المتهتّكـــاتِ
مـــاذا لقيـــتَ مـــن الحَضـــا رة يا أُخـــيَّ الترَّهـــاتِ(٤)
لم تَلـــقِ غـــيرَ الـــرق مـــن عُســـرٍ عَلَـــى الشـــرقي عـــات

خُذْ بالكِتاب وبالْحَدِيثَ وسيرةِ السَّلَفِ الثِّقاتِ(٥)

وارجع إلى سُنن الخليقَةِ واتَّبِعْ نظُمَ الحياةِ

---

(١) الخرد العذارى. المتخفرات المستحييات

(٢) الزين ضد الشين. المقاصر جمع مقصورة وهي إما الدار الواسعة المحصنة أو الحجرة من حجر الدار. الحجال جمع حجل وهو الخلخال

(٣) لا تلغ لا تقل باطلا عن غير روية وفكر. الفواصل جمع فاصلة وهي من السجع بمنزلة القافية من الشعر

(٤) الترهات الطرق الصغار تتشعب عن الجادة واحدتها ترهة ثم استعيرت للباطل

(٥) الثقات جمع ثقة والثقة الموثوق به ويوصف به المفرد وغير المفرد والمذكر والمؤنث

هـــــــذا رســـــــولُ الله لم يَـــــنْقُص حُقُـــــوقَ المؤمنـــــات

العلـــــمُ كـــــان شـــــريعةً لنســـــــائه المُتَفَقِّهـــــــاتِ(١)

رُضْـــــنَ التجـــارة والســـيا ســـةَ والشـــؤونَ الأُخـــريات(٢)

ولقـــــد علمـــــتَ بناتـــــه لُجـــــجَ العلـــــوم الزاخـــــرات

كانت سكينةُ تملأُ الدنيا وتهزأُ بالرواة(٣)

روت الحـــــديثَ وفســـــرتْ آيَ الكتـــــــاب البينـــــــات

وحضـــــارةُ الإِســـــلام تنطِـــــقُ عـــــن مكـــــان المســـــلماتِ

بغـــــــدادُ دار العالمـــــــا ت ومنـــــــزلُ المتـــــــأدبات(٤)

ودِمشـــــقُ تحـــــت أميـــــةٍ أمّ الجـــــواري النابغـــــاتِ(٥)

ورياضُ أندلسٍ نَمْينَ الهاتفاتِ الشاعرات(٦)

أدْعُ الرجـــــالَ لينظُـــــروا كيـــــف اتحـــــادُ الغانيـــــات

---

(١) المتفقهات من تفقه أي تعلم الفقه وتعاطاه والفقه هو علم الدين أو من تفقه في العلم إذا تعلمه

(٢) وضن من راض الشيء ذلله وجعله مطيعاً

(٣) سكينة هي بنت الحسين بن الإمام على وحفيدة الرسول ﷺ

(٤) بغداد مقر ملك العباسيين بالعراق. المتأدبات المتعلمات الأدب

(٥) دمشق مقر ملك الأمويين في الشام. الجواري جمع جارية وهي الفتاة

(٦) أندلس بلاد في غرب أوربا هي الآن مملكة أسبانيا أو بعضها وكانت قديماً مقر ملك إسلامي عظيم وأول من دخلها ونقل إليها حضارة الإسلام وأنشأ بها ذلك الملك هو عبد الرحمن الظافر الأموي المسمى صقر قريش. يمين الهاتفات من قولهم نمته عشيرته أي رفعته بالانتساب إليها

والنَّفْـــعَ كيـــف أخَـــذْنَ في أســـــــبابه متعـــــــاونات

لمـــا رأيْـــنَ نَدَى الرِّجَـــا لِ تَفَـــاخُراً أو حُـــبَّ ذات(١)

ورأيْـــنَ عِنْـــدهَمُو الصـــنا ئِـــعَ والفُنـــونَ مُضَـــيَّعَاتِ

والـــبر عنـــدَ الأغنيـــا ءِ مـــن الشـــؤون المُهْمَـــلَاتِ

أقـــبلن يَبْنِـــينَ المَـــآ ثِـــرَ للنجـــاح مُوَفَّقَـــاتِ

للصـــالحاتِ عقائـــلِ الـــوَادِي هَـــوىً في الصـــالحات(٢)

الله أنبتهنَّ في طاعاته خَيرَ النَّباتِ

فـــأتين أطيـــبَ مـــا أتـــى زَهَـــرُ المناقِـــبِ والصـــفَاتِ(٣)

لم يكفِ أنْ أحْسَنَّ حتى زِدْنَ حضَّ المحسنات(٤)

يمشـــينَ في سُـــوقِ الثَّـــوا بِ مُسَـــاوِمَاتٍ رَابحـــاتِ

يَلْبَسْـــنَ ذُلَّ الســـائلا تِ ومـــا ذَكَـــرْنَ البائســـات(٥)

فوجُـــوهُهُنَّ ومَاؤهـــا سِـــتْرٌ عَلَـــى المُـــتَجَمِّلاَتِ(٦)

مصـــرٌ تجـــدّد مَجْـــدَهَا بنســـائِهَا المُتَجَـــدَّدَاتِ

---

(١) الندى الجود

(٢) الصالحات ذوات الصلاح من النساء. العقائل جمع عقيلة وهي الكريمة المخدرة. الصالحات في آخر البيت صفة لمحذوف أي الأفعال الصالحات

(٣) المناقب المفاخر

(٤) الحض من حضه على الأمر حمله عليه

(٥) البائسات الشديدات الحاجة

(٦) المتجملات من تجمل الفقيرات اللاتي لم يظهرهن ذل الفقر

النـــافراتِ مِـــنَ الجُمُـــو دكأنـــه شَـــبَحُ المَمَـــاتِ[1]

هـــل بَيْـــنَهُنَّ جَوَامـــداً فَـــرْقٌ وبـــينَ المُومِيـــاَتِ[2]

لما حَضَنَّ لنا القضيةَ كُنَّ خَيرَ الحاضِنَاتِ[3]

غـــذَّيْنَهَا في مَهْـــدِهَا بِلِبَـــانِهِنَّ الطـــاهراتِ

وسَبَقْنَ فيها المُعْلَمينَ إلى الكَرِيهَة مُعْلَمَاتِ[4]

يَنْفُـــثْنَ في الفِتْيَـــانِ مـــن رُوحِ الشـــجاعة والثَبـــاتِ[5]

يَهْوَيْنَ تقبيلَ المُهَنَّد أو مُعَانَقَةَ القناة[6]

ويَـــرَيْنَ حـــتى في الكَـــرَى قُبَـــلَ الرِّجَـــال مُحَرَّمـــاتِ

---

(1) الجمود التيبس

(2) المومياات واحدتها موميا وهي يونانية معناها حافظ الأجسام وتطلق اليوم على الأجسام المحنطة

(3) القضية هي قضية استقلال وادي النيل

(4) المعلمون الفرسان لهم علامة في الحرب لبطولتهم

(5) ينفثن من قولهم نفث الله الشيء في القلب ألقاه

(6) المهند السيف. القناة الرمح

على سفح الأهرام

هذه الأبيات مطلع قصيدة طويلة استقبل فيها الشاعر ضيفاً من ضيوف مصر في حفل على سفح الأهرام نظمت في سنة ١٩٢٣

قِــف ناجِ أَهــرامَ الجــلالِ ونادِ ... هــل مــن بُناتــكِ مجلــسٌ أو نادِ؟[١]

نشــكو ونَفــزعُ فيــه بــين عيــونهم ... إن الأبَّـــــوةَ مفـــــزعُ الأولادِ[٢]

ونبــثهم عبــثَ الهــوى بــتُراثهم ... مــن كــلَّ ملــقٍ للهــوى بقيــادِ[٣]

ونُبــينُ كيــف تفــرقَ الإِخــوانُ في ... وقــتِ الــبلاء تفــرقَ الأَضــدادِ[٤]

إن المغــالِطَ في الحقيقــةِ نفسَــه ... باغٍ علــى الــنفسِ الضــعيفةِ عــادِ![٥]

قــل للأعاجيــبِ الــثلاثِ مقالــةً ... مــن هــاتفٍ بمكــانِهنّ وشــادِ[٦]

لله أنــتِ فمــا رأيــتُ علــى الصّــفا ... هــذا الجــلالَ ولا علــى الأَوتادِ[٧]

---

(١) ناج من المناجاة وهي المسارة: الجلال التناهي في عظم القدر. البناة جمع بان. المجلس مكان الجلوس والنادي اسم للمجلس حين يجتمع فيه القوم ليتحدثوا فإذا تفرقوا فليس ناديا

(٢) نشكو نعلن الشكوى ونفزع نستغيث وضمير فيه للمجلس أو النادي. بين عيونهم أي إمامهم. الأبوة كون الرجل أبا

(٣) نبثهم نكاشفهم. العبث اللعب. الهوى إرادة النفس وهو غالب في الشر، القياد في الأصل حبل يقاد به

(٤) نبين مضارع أبان الشيء أوضحه. البلاء الغم يبلي الجسم

(٥) المغالط نفسه موقعها في الغلط. باغ ظالم وعاد ظالم أيضاً

(٦) الأعاجيب الثلاث يريد بها الأهرام الثلاثة وإنما كانت أعاجيب لأن الإنسان يستعظمها فنعتريه روعة عند ذلك وهذا هو العجب والمفرد أعجوبة وهي اسم لما يكون العجب منه. هاتف مادح من هتف به مدحه. شاد من شدا الشعر غنى به وترنم

(1) الصفا جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت. الأوتاد الجبال.

لــكِ كالمعابِــد روعــةٌ قدســيةٌ وعليـــكِ روحانيـــةُ العُبـــاَّد[1]

أُسّســتِ مــن أحلامِهــم بقواعــدٍ ورُفعــتِ مــن أخلاقهــم بِعمــاد[2]

---

[2] الروعة الفزعة والمسحة مر الجمال. العباد جمع عابد

[3] الأحلام العقول جمع حلم. عماد الشيء ما يسند به. والخطاب في هذا البيت والبيتين قبله للأعاجيب الثلاثة

محمد علي باشا الكبير

نظمت هذه القصيدة حوالي سنة ١٩١٢ على أن تكون قطعة من رواية تمثيلية

كان مزمعاً أن تمثل إذ ذاك ذكرى لبطولة هذا العصامي العظيم

عَلَمٌ أنتَ في المشارق مفردْ ... لكَ في العالمينَ ذكرٌ مُخَلَّدْ [1]

حبذا دُولةٌ وملكٌ كبيرٌ ... أنتَ باني رُكنَيْهما يا مُحَمَّد

ولواءٌ في البرّ والبحر يُعطي ... مَظهَرَ الشمسِ في الوجود وأَزيد

تُدخلُ الأرضَ فيه قُطراً فقُطراً ... مُدخَلَ الناسِ في شريعةِ أحمد

تَملأ الأرضَ صافناتٍ وتُجري ... لكَ في البحر كل بُرج مُشيّد [2]

هكذا فلينْل سماءَ المعالي ... من سعَى في الورَى لمجدٍ وسؤدد

همةٌ تبتنِي الممالكَ شما ... ءَ، ورأىٌ يسوسُهن مُسدّد [3]

وثباتٌ في الحادثاتِ وعزمٌ ... مثلُ ريب الزمانِ لا يتردد

تضعُ السيفَ موضعاً يرتضيه ... ومنَ البأس ما يُذَمُّ ويحمَد

وتصونُ النَّوالَ عن حسن صُنع ... لكَ يُنسى ونعمةٍ لك تُجحد [4]

لا تُبالي بحاسدٍ وعدوٍ ... آية الفضل أن تعادَى وتحسد

---

(1) العلم سيد القوم. والمخلد الدائم الباقي

(2) الصافنات الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة. البرج الحصن والمراد سفينة الحرب

(3) الشماء العالية وهي وصف الهمة، المسدد المقوم

(4) النوال العطاء

همـــةُ الفـــاتحين حكـــمٌ وقهـــرٌ ولـــكَ الهمـــةُ الـــتي هـــيَ أبعـــد

لـيس مـن يفـتحُ الـبلادَ لتشـقى مثـلَ مـن يفـتحُ الـبلادَ لتَسـعد

علمت مصرُ والحجازُ وأرضُ النوب والشامُ أن عهدكَ عَسجد[1]

أنت إن أُحصِيَ النوابغُ في الملكِ كَريمُ الثنا على الدهر أوحد

أيَّـــــدتهم قرابـــــةٌ وقبيـــــلٌ وأرى اللهَ وحـــدَه لـــك أيَّـــد

فتـــولاك والليـــالي حُبـــالي وتـــولاّكَ والحـــوادثُ تولـــد

ورمَـــى عنـــكَ والملـــوكُ رمـــاة نصفُهم واجِدون[2] والنصفُ حُسّد

ركـنَ مصـر أقمـت بعـد انقِضـاضٍ أمـــةٌ جُمَّعـــت وأمـــرٌ تَوحـــد

يا مُـــديمَ الرقـــادِ في خـــير مَرقـــد قُم فما حلَّ قبلكَ الأرضَ فرقد[3]

وانظر الشرْق كيف أصبح يهوِى وانظر الغربَ كيف أصبح يَصعد

وتأمـــــل ممالكـــــاً وبـــــلاداً لمـــسَ الـــدهرُ عِقَـــدها فتبـــدد

كنـــتَ تحميـــه والســـيوفُ عـــوارٍ مـن لـه اليـوم بالحُسـام المجـرّد؟[4]

ينشـــرُ النـــورَ والحضـــارةَ فيـــه كلمـــا زُوَّدَ الشـــعوبُ تـــزود

وتـــرى الأمَـــر بـــين قلـــبٍ ذَكـــيّ في يديـــه وبـــين جَفـــن مُســـهَّد

يا عصـامَ الملـوك هـل كنـتَ تسـلو عن عروش الملوك أو كنتَ تَزهد[1]

---

(1) العسجد الذهب وقيل الجوهر كله كالدر والياقوت

(2) واجدون غاضبون

(3) الفرقد نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به

(4) يريد بالحسام المجرد صاحبه أو يريد أن مُحَمَّد على هو ذلك الحسام الذي يتمناه لحماية الشرق من جديد

صـغَّر الجـاهلون بالـنفس مسـعا ... كَ وعـذرُ النفـوسِ فيـه ممهّـد

مـا سمعنـا بفـاتحٍ سـلّ سـيفاً ... يأخـذُ الملـكَ حـدُّهُ ثم أغمـد

حالـة سـامها (الأمـينَ) أخـوه ... وأمـورٌ بهـا (أميـةُ) تشـهد[٢]

ثبْـتَ في فتنـةِ الحِجـاز إلـيهم ... حـين أخمـدتِها ولم تـك تُخَمـد[٣]

وأتاهـم بُعـذرِه لـك بيـتٌ ... كلمـا جنّـدوا إلى الحـربِ جنّـد[٤]

يحفـظ الملـكَ ملـكَ مصـر علـيهم ... جـوهراً فـوق تاجهـم يتَوقـد

زعمـوا الشـرقَ مـن فِعالـك قَلْقـاً ... وأرى الشـرقَ في يمينـك أقعـد[٥]

جئته بالحياةِ والنور والتمدينِ والرأيِ والقنا والمهنّد

كـان بـين الـورى بـركنٍ فعـزّزْ ... تَ بثـانٍ والـركنُ بالـركنِ يشـتد[٦]

شـرفاً في الزمـانِ آلَ علـيٍّ ... جـدُّكم سـيدُ الملـوك المسـود

ارجعـوا في العُـلا إليـه ورُومـوا ... نَهجَـهُ، نَهجَـهُ الـذي كـان أقصـد[٧]

ألبِسُـوه كمـا كسـاكم فَخـاراً ... كلمـا رثّـت الثيـابُ تجـدد

---

(١) عصام مضرب المثل في علو الفرد بنفسه لا بنسبه

(٢) سامه الشيء أراده عليه. الأمين الخليفة العباسي ابن هرون الرشيد وأخوه هو المأمون صاحب الخلافة بعده وكانت بينهما حرب على الخلافة فما زال المأمون يلح على أخيه بالحرب حتى ظفر بها. وأمية جد الأمويين الذين قاتلوا العلويين على الملك حتى نالوه

(٣) ثبت أي رجعت. فتنة الحجاز هي الحرب التي أثارها الوهابيون على الدولة التركية في الحجاز فلم يهزمهم فيها إلا جيش مصري أرسله مُحَمَّد على وجعله تحت قيادة ابنه إبراهيم

(٤) يريد أن هذا البيت الذي طالما نصر الأتراك أتاهم بعذره حينما انقلب عليهم

(٥) أقعد أي أمكن وأثبت

(6) عززت بثان أي عززته

(7) النهج الطريق. اقصد أقوم

واملئوا مسمعَ الزمانِ حديثاً كدويَّ الخِضَم أرغي وأزيد[1]

إنَّما الناسُ أمةٌ لا يموتو ن وأخرى تمر مرّاً وتَنفد

وأرى جدَّكم عَلَى الدهر حياً خالدَ الذكر والثناء المردّد

كلما مرَ من مساعيه قرن مرّ يزهو بعقدهن المنضّد[2]

مُشرقاً من ثنائه مُستَضِيئاً من بنيه بكل أبلجَ أصيد[3]

يتحداه في فخارٍ ويسري في منارٍ على طريقٍ معبّد[4]

---

(1) الخضم البحر

(2) القرن من الزمان مائة سنة. المنضد المنسق بعضه إلى بعض

(3) الأبلج المشرق المنير

(4) طريق معبد مذلل

الانقلاب العثماني

نظمت هذه القصيدة يوم سقوط السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الدولة العثمانية، وتولية خلفه السلطان مُحَمَّد رشاد الخامس على أثر المطالبة بالدستور

دمعة على يلدز – سيئات العهد الماضي– التفاؤل للعهد الجديد– معذرة وعتب على السلطان المخلوع – تحية المؤمنين للخليفة الجديد

سَلْ (يلدِزاً) ذاتَ القصورِ ... هل جاءت نبأُ البدورِ؟[1]

لو تستطيعُ إجابةً ... لبكتكَ بالدمعِ الغزيرِ

أخْني عليها ما أنا ... خَ عَلَى الخَوَرْنقِ والسديرِ[2]

ودها الجزيرةَ بعد إسماعي ... لَ والملكِ الكبيرِ[3]

ذهبَ الجميعُ فلا القصو ... رُ تُرى ولا أهلُ القصورِ

فَلكٌ يدورُ سعودُه ... ونحوسُه بيدِ المديرِ

أينَ الأوانسُ في ذُرا ... ها من ملائكةٍ وحورِ[1]

---

(1) يلدز في لغة الترك اسم نجم وقد سمي به قصر عظيم في الأستانة كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه والمخاطب بقوله "سل الخ" هو هذا السلطان

(2) أخنى عليه الدهر أتى عليه وأهلكه. الخورنق قصر كان في الحيرة بالعراق للملك النعمان الأكبر أحد ملوك بني المنذر والسدير قصر كان بالحيرة أيضاً للمناذرة

(3) دهاه الأمر أصابه. الجزيرة هي جزيرة الروضة في النيل شرقي القاهرة وكان بها قصر عظيم من قصور الخديوي إسماعيل وهو المراد

المترَعاتُ من النعيمِ الرواياتُ من السرور[٢]

العـــاثراتُ مـــن الـــدلا ... لِ الناهضـــاتُ مـــن الغُـــرورِ

الآمـــراتُ علـــى الـــولا ... ةِ الناهيـاتُ علـى الصـدورِ[٣]

الناعمـــــاتُ الطيبـــــاتُ ... العَـــرفِ أمثـــالُ الزهـــورِ[٤]

الـــذاهلاتُ عـــن الزمـــا ... نِ بِنشـــوةِ العـــيشِ النضـــيرِ

المشرفاتُ وما انتقلنَ على الممالكِ والبحورِ

مـــن كـــل بلقـــيسٍ علـــى ... كرســـيّ عزتِهـــا والـــوثيرِ[٥]

أمضى نفوذاً من زبيدةَ في الإمارةِ والأميرِ[٦]

بـــينَ الرفـــارفِ والمشـــا ... رفِ والزخـــارفِ والحريـــرِ[٧]

والـــروضِ في حجـــم الـــدُنا ... والبحـــرِ في حجـــمِ الغـــديرِ

والـــدرّ مؤتَلـــقِ الســـنَا ... والمســـكِ فيـــاحِ العبـــيرِ

في مســـكنٍ فـــوق الســـما ... كِ وفـــوق غـــاراتِ المغـــيرِ[١]

---

(1) الأوانس جمع آنسة وهي الطيبة النفس. الحور جمع حورية وهي المرأة البيضاء الناعمة

(2) المترعات جمع مترعة من أترع الإناء ملأه

(٣) الولاة جمع وال. الصدور جمع صدر ويقال له الصدر الأعظم وهو كبير وزراء السلطان في الدولة التركية

(٤) العرف الرائحة الطيبة

(٥) بلقيس ملكة سبأ من أرض اليمن وقصتها مع الملك سليمان مبسوطة في كتب التاريخ الديني. الوثير اللين الموطأ

(٦) زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد

(٧) الرفارف جمع رفرف وهو الفراش. المشارف جمع مشرف وهو الموضع يشرف منه ومشارف الأرض أعاليها

بـــــين المعاقـــــلِ والقَنـــــا والخيـــــل والجِـــــمّ الغفـــــيرِ

سمّـــــوه يلـــــدزَ والأفـــــو لُ نهايـــــةُ الـــــنجمِ المُنـــــيرِ

دارت علـــــيهنَّ الـــــدوا ئـــــرُ في المخـــــادعِ والخـــــدور[٢]

أمسيْن في رقّ القَبيلِ وبتْنَ في أسرِ العَشِير[٣]

مـــــا ينتهِـــــين مـــــن الصـــــلا ةِ ضـــــراعةً ومـــــن النـــــذور

يطلُبن نُصرةَ ربَّهنّ وربُّهن بلا نَصير[٤]

صبغ السوادُ حبيرَهنَّ وكان من يَقَقِ الحُبور[٥]

أنا إن عجـــــزتُ فـــــإن في بُـــرديَّ أشـــعر مـــن (جَريـــر)

خَطْبُ الإمام عَلَى النظيمِ يَعزُّ شرحاً والنثير

عظـــةُ الملـــوك وعـــبرةُ الـــ أيام في الـــــزمنِ الأخـــــير

شيخُ الملوكِ وإن تضعضع في الفؤادِ وفي الضمير

نســـــتغفرُ المـــــولى لـــــه والله يَعفـــــو عـــــن كثـــــير

---

(١) السماك كوكب

(٢) الدوائر جمع دائرة وهي النائبة من صروف الدهر. المخادع جمع مخدع بضم الميم وكسرها بيت يكون في البيت الكبير يحرز فيه الشيء

(٣) القبيل: المراد به الأمة

(٤) ربهن سيدهن وهو السلطان عبد الحميد

(٥) الحبير الناعم الجديد. اليقق الشديد البياض

ونَـــــراه عنـــــد مصـــــابه أولى بِبـــــــاكٍ أو عَـــــذِير

ونصـــــــــونُه ونُجلـــــــــه بـــــين الشـــــماتةَ والنَّكـــــير

عبدَ الحميد حسابُ مثلك في يدِ المَلِك الغفُورِ

سُـــــدتَ الثلاثـــــينَ الطـــــوا لَ ولَسْـــنَ بالحُكـــم القَصـــير[1]

تنهـــــي وتأمـــــرُ مـــــا بـــــدا لـــكَ في الكبـــير وفي الصـــغير

لا تَستشـــــــيرُ وفي الحِمـــــى عـــددُ الكواكـــب مـــن مُشـــير

كـــم سَـــبَّحوا لـــكَ في الـــروا حِ وألَّهـــوكَ لـــدى البُكـــور

ورأيـــــتَهم لـــــكَ سُـــــجَّداً كسـجود موسـى في الحضـور[2]

خفضـــوا الـــرءوسَ ووتَّـــرُوا بالـــذل أقـــواسَ الظَّهـــور[3]

مـــاذا دهـــاكَ مـــن الأمـــو رِ وكنـــتَ داهيـــةَ الأمـــور؟

مـــا كنـــتَ إن حـــدثَتْ وجلَّـــ تْ بالجَـــزُوعِ ولا العَثُـــور

أيـــــن الرويـــــةُ والانا ة وحكمـــة الشـــيخ الخبـــير؟

إن القضـــــاءَ إذا رمـــــى دكَّ القواعـــدَ مـــن (ثَبـــير)[4]

دخلوا السريرَ عليكَ يحتكمون في رب السرير[5]

---

(1) الثلاثين الطوال الأعوام التي مضت له وهو سلطان

(2) كسجود موسى في الحضور أي في حضوره حين تجلى له الله فكلمه

(3) وتروا بالذل أقواس الظهور أي جعلوا الذل وتراً لأقواس ظهورهم يعني أن الذل قوس ظهورهم كما يفعل الوتر بالقوس إذا شد عليها

(4) ثبير جبل معروف

(5) يحتكمون في رب السرير يتصرفون فيه وفق مشيئتهم

أعظِمْ بهم من آسرينَ وبالخليفةِ من أَسير!

أسدٌ هصورٌ أنشبَ الأظفارَ في أسدٍ هَصورِ[1]

قالوا اعْتَزِلْ – قلتَ اعتزلتُ – الحكمُ لله القدير

صـــبروا لـــدولتكَ الســـني ... نَ ومـا صـبرتَ سـوى شُـهور

أوذيـــتَ مـــن دُســـتورهم ... وحنَنـــتَ للحُكـــم العَســـير

وغضِـــبتَ كالمنصـــورِ أو ... هـــارون في خـــالي العصـــور[2]

ضَـــنُّوا بضـــائع حقِّهـــم ... وضَـــنْنتَ بالـــدنيا الغَـــرور

هـــلا احتفظـــتَ بـــه احتفَـــا ... ظَ مُرجّـــبٍ فـــرحٍ قَريـــر

هو حليةُ المِلكِ الرشيدِ وعصمةُ الملِك الغَرير

وبـــه يُبـــارَك في الممـــا ... لـــكِ والملـــوكِ علـــى الـــدهور

يا أيُّهـــا الجـــيشُ الـــذي ... لا بالـــدعيّ ولا الفَخُـــور

يخَفَـــى فـــإن رِيـــعِ الحمـــى ... لفـــتَ البريـــةَ بالظُهـــور[3]

كالليـــثِ يســـرفُ في الفِعـــا ... لِ وليـس يُسـرف في الـزئير[4]

الخاطبُ العلياءِ بالأرواحِ غاليةِ المهور

---

(1) أنشب أظفاره في الشيء أعلقها فيه

(2) أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد من الخلفاء العباسيين

(3) ريع الحمى أي راعه شيء وأفزعه

(4) الزئير صوت الأسد

عنـــد المُهـــيمن مـــا جَـــرى في الحـــقِّ مـــن دمـــكَ الطَهـــور
يتلـــو الزمـــانُ صـــحيفةً غـــرًّا مُذَهَّبَـــةَ السُّـــطورِ
في مـــدح (أنـــورك) الجـــري ء وفي (نيازيـــك) الجســـور
يا (شـــوكت) الإِســـلام بـــل يا فـــاتحَ البلـــد العســـير[1]
وابـــنَ الأكـــارم مـــن بـــني (عَمَر) الكريم على (البشير)[2]

القابضين على الصليل كجدهم وعلى الصرير[3]

هـــل كـــان جـــدُّك في ردا ئـــك يـــوم زحفـــك والكـــرور
فقنصـــت صـــيادَ الأُســـو د وصـــدتَ قنـــاصَ النســـورِ
وأخـــذت (يلـــدزَ) عَنـــوةً وملكـــتَ عنقـــاءَ الثغـــور[4]
المؤمنـــون (بمصـــر) يُهـــدون الســـلامَ إلى الأمـــير

ويُبايعُونك يا (محمدُ) في الضمائر والصدور[5]

قـــد أمَّلـــوا لهلالهـــم حـــظَّ الأهلـــةِ في المســـيرِ

---

(1) أنور ونيازي وشوكت كانوا من كبار القواد في الجيش العثماني وكانوا على رأس الحركة التي قام بها هذا الجيش لحمل السلطان عبد الحميد على إعادة الدستور وجعله أساس الحكم في البلاد التركية

(٢) عمر هو الخليفة عمر بن الخطاب كان شوكت باشا من سلالته. البشير من أسماء النبي مُحَمَّد ﷺ

(٣) الصليل الصوت يسمع عند المقارعة بالسيوف. الصرير صوت القلم عند الكتابة

(٤) أخذ الشيء عنوة أي قهراً. العنقاء طائر معروف الاسم ومجهول الجسم يضرب مثلاً لكل عزيز ممتنع والمراد أنه ملك ثغر الأستانة الذي يشبه العنقاء في عزته وامتناعه

(٥) مُحَمَّد هو السلطان مُحَمَّد رشاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبد الحميد

فـــابلغْ بـــه أوْجَ الكمـــا ... ل بقـــــوةِ اللهِ النصـــــير

أنـــت الكبـــيرُ يقلِّـــدو ... نـك سـيفَ (عثمـانَ) الكبـير

شـــيخُ الغـــزاةِ الفاتحـــ ... ـيـنَ حسـامُه شـيخُ الـذكور[1]

يمضـــي ويغمـــد بالهـــدى ... فكأنـــه ســـيف النـــذير[2]

بشـــرى الإمـــام محمـــدٍ ... بخلافـــــة الله القـــــدير

بشـــرى الخلافـــة بالإمـــا ... م العـــادلِ النـــزهِ الجـــدير

الباعـــثِ الدســـتور في الـــ ... إســـلام مـــن حُفـــر القبـــور

أوْدَى "معاويـــــةٌ" بـــــه ... وبعثتَـــه قبـــل النشـــور[3]

فعلـــى الخلافـــة منكمـــا ... نـــورٌ تـــلألأَ فـــوقَ نـــور[4]

---

(١) الذكور جمع ذكر وهو السيف

(٢) النذير من أسماء النبي

(٣) أودى به ذهب به وأضاعه معاوية بن أبي سفيان أول ملوك الدولة الأموية وقد كان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين وهي معنى حكم الدستور فلما أخذ معاوية الملك استقل فيه برأيه

(٤) منكما أي من الخليفة ومن الدستور

طوكيو

نظمت هذه القصيدة يوم نكبت اليابان بالزلزال الهائل الذي أصابها في سنة ١٩٢٥.

قِفْ (بطوكيو) وطُف على (يوكاهامه) وسَل القريتَيْن كيف القيامةَ
دنت الساعةُ التي أُنْذِرَ النا سُ وحلَّت أشراطُها[١] والعلامه
قِفْ تأمَّل مَصارعَ القوم وانظُر هل ترى من ديار عادٍ دِعامه
خُسفت بالمساكن الأرض خسفاً وطوى أهلُها بِساطَ الإقامة[٢]
طوَّفَت بالمدينتين المنايا وأدارَ الردى على القوم
لا ترى العينُ منهما أين جالت غيرَ نِقّضٍ[٤] أو رِمَّةٍ أو حُطامه[٥]
حازَهم من مراجل[٦] الأرض قبرٌ في مدى الظن عمقُه ألفٌ قامه
تحسبٌ الميتَ في نواحيه يُعي نفخةَ الصورِ أن تَلُمَّ عِظَامه
أصبحوا في ذرا الحياة وأمْسَوا ذهبت ريحُهم وشالوا نعامه[٧]

---

(١) الاشراط: المفرد شرط: العلامة

(٢) أي ارتحلوا

(٣) الجامة الكأس

(٤) النقض: اسم البناء المنقوض

(٥) الحطامة: ما تحطم من الشيء المحطوم أي ما تكسر منه

(٦) مراجل: جمع مرجل وهو القدر من الحجارة والنحاس

(٧) أي ارتحلوا وتفرقوا

ثِـقْ بمـا شـئتَ مـن زمانـك إلاّ صـحبةَ العـيش أو جِـوارَ السـلامه

دولـةُ الشـرق وهـي في ذروة العـز تحـار العيـون فيهـا فخامـه

خافهـا الجـيشُ وهـو في الـبر دِرعٌ والأسـاطيلُ وهـي في البحـر لامـه[1]

لـو تأملتهـا عيشّـةَ جاشـت خلتهـا في يـد القضـاء حمامـه

رجّهـا رجّـةً أكبّـت علـى قـر نيـه (بـوذا) وزلزلـت أقدامـه

اسـتعذنا بالله مـن ذلـك السـي ل الـذي يكسـحُ الـبلادَ أمامـه

مـن رأى جامـداً يَهُـبُّ هبـوباً وحميمـاً[2] يَسُـح سـحَّ الغمامـه؟

ودخـاناً يَلُـفُّ جُنحـاً بجـنحٍ[3] لا تـرى فيـه مِعصَـمَيها اليمامـه[4]

وهزيمـاً كمـا عـوى الـذئبُ في كـل مكـانٍ وزمجـر الضـرغامه

أتـت الأرضُ والسـماءُ بطوفـا ن يُنسّـي طوفـان نـوحٍ وعامـه

فترى البحرَ جُنَّ حتى أجاز[5] البر واحتل موجُه أعلامه

مُزبـداً ثائـر اللَّجـاج كجـيشٍ قـوَّضَ العاصـفُ الهبـوبُ خيامـه

فُلْـكُ نـوح تعـوذُ منـه بنـوحٍ لـو رأتـه وتسـتجير زمامـه

قـد تخيلـتهم متابيـلَ سـحرٍ مـن قـراع القضـاء صَـرْعى مُدامـه

---

(1) اللامة: الدرع

(2) الحميم: الماء الحار

(3) جنح الليل: طائفة منه

(4) هي زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر

(5) أجاز الموضع: سلكه

وتخيلتُ من تخلّف منهم ظنَّ ليلَ القيام ذاك، فنامه

أبراكينُ تلك أم نزواتٌ[1] من جراح قديمة مُلْتَامه

تجد الأرضُ راحةً حيث سالت راحةُ الجسم من وراء الحَجَامه[2]

ما لها لا تضجّ مما أقلّت من فسادٍ وحُمِّلت من ظُلامه

كلما لُبّست بأهل زمانٍ شهِدت من زمانهم آثامه

استووا بالأذى ضُرّاً وبالشر ولوعاً وبالدماء نَهامه

لبّست هذه الحياةُ علينا عالم الشر وحشَه وأنامه

ذاك من مُؤنساته الظفرُ والنا بُ وهذا سلاحُه الصَمْصَامه

سَرّهُ من أُسامةَ البَطْشُ والفتـ كُ فَسمَّى وليدَه بأُسامه[3]

لَؤُمت منهما الطباعُ ولكن ولدُ العاصيْين[4] شرٌّ لآمه!

---

(1) نزوات: وثبات

(2) الحجامة: الفصد

(3) أسامة: الأسد

(4) العاصيين: آدم وحواء

أبو الهول

ألقيت هذه القصيدة يوم الاحتفال بافتتاح مسرح حديقة الأزبكية سنة ١٩٢١

وقد رفع الستار يومئذ عن تمثال أبي الهول ورجل يناجيه

أَبَا الهَـوْلِ: طـالَ عليـكَ العُصُـرْ ... وبُلِّغْـتَ في الأرض أقصـى العُمـرْ[١]

فيالِـدَةَ الـدَّهرِ: لا الـدَّهرُ شَـبْ ... بَ، ولا أنـت جـاوزت حَـدَّ الصـغَر[٢]

إلاَمَ ركوبُـكَ مَـتْنَ الرمـا ... لِ لِطَـيَّ الأَصـيل وجَـوْب السَّـحَرْ[٣]

تُسـافر مُنـتقلاً في القـرو ... نِ فـأيان تُلقـى غُبـار السـفر؟

أبيْنـكَ عَهْـدٌ وبـين الجبـا ... لِ، تـزولان في المَوْعِـد المُنتظَـر[٤]؟

أبا الهـول! مـاذا وَرَاءَ البقـا ... ءِ– إذا مـا تطـاول – غـيرُ الضَّـجَر[١]؟

---

(1) "طال عليك العصر" العصر والعصر والعصر والعصر الدهر فالعصر هنا مفرد لا جمع – ومعنى طول الدهر على أبي الهول أنه عمر أعماراً طوالا وقد أوضح ذلك مع زيادة في التوكيد بقوله: وبلغت في الأرض أقصى العمر: والعمر بضم العين والميم لغة في العمر

(2) "فيالدة الدهر" فيا أخا الدهر وقرينه. فكأنك والدهر توءمان، خلقتما معاً في أوان، "ولا أنت جاوزت حد الصغر" أي برغم أنك بلغت في الأرض أقصى العمر

(٣) "إلام ركوبك" إلى من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية فبنيت بناء كلمة واحدة وسقطت الألف من ما طلبا للخفة واعتداداً بإلى الموصولة بها. وكذلك يفعلون في بم وفيم ومم ولا يفعلون ذلك بما الخبرية، ومن العرب من يقف على مثل هذا بالهاء فيقولون الأمه وعمه وفيمه وله – هذا وأنه لتصوير شعري بديع رائع تصوير أبي الهول راكباً متن الرمال يطوي الليل والنهار، ويسافر منتقلاً في القرون والأدهار "وجوب" في معنى طي

(٤) "في الموعد المنتظر" يوم يزول كل شيء – أي اليوم الآخر

عجِبــتُ لِلقمــانَ في حِرصِــه علــى لُبَــدٍ والنسُــورِ الأخــرَ[٢]

وَشــكوَى لَبيــد لطــولِ الحيــا ةِ، وَلــو لم تَطُــلْ لَتَشَــكَّي القِصَــر[٣]

وَلو وُجِدَت فيك يا ابنَ الصَّفا ةِ لَحِقــتَ بِصــانِعِكَ المُقْتَــدر[١]

---

(١) "ماذا وراء البقاء" يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبي سلمى

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

(٢) "لقمان" هو لقمان بن عادياء وتزعم العرب أنه الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستسقي لها فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر من أظب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما أهلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الابعار وآثر النسور فلما لم يبق غير السابع قاب ابن أخ له يا عم ما بقي من عمرك إلا عمر هذا فقال لقمان هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر. قالوا وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو في أصله فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر فإذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا الشابع أخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبداً وكان أطولها عمراً فضربت العرب به المثل فقالوا طال الأبد على لبد قال الأعشي:

وأنت الذي أفنيت قيلا بكأسه ولقمان إذ خيرت لقمان في العمر

لنفسك أن تختار سبعة أنسر إذا ما مضى نسر خلوت إلى نسر

فعمر حتى خال أن نــسوره خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

فعاش لقمان –كما زعموا – ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وقال النابغة

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وهذا لقمان بن عادياء غير لقمان الحكيم وغير لقمان اليهودي الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة وكلا الاثنين مذكور في القرآن الكريم

(٣) "وشكوى لبيد" أي وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة الخ وهو لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلي الإسلامي المخضرمي صاحب المعلقة التي أولها

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

كان لبيد من المعمرين روى أنه مات وهو ابن مائة وأربعين وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية أما شكواه التي ألمع إليها فذلك حيث يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

يقول إذا لم يكن وراء البقاء المتطاول إلا الضجر فأني أعجب للقمان في حرصه على أن تطول حياته وللبيد الذي وإن مل الحياة وسئم من طولها فإنه لا محالة كان أكثر شكاة إذا هي لم تطل لأن حب الحياة مركوزة في الطباع

فـــإنَّ الحيـــاةَ تَفُـــلُّ الحـــدِي دَ إذا لَبِسَـــــتْهُ وتُبْلـــى الحجَـــر[٢]

أبا الهـول مـا أنـتَ في المُعْضِـلاَ تِ؟ لقد ضَلَّتِ السُّبْلَ فيك الفِكر[٣]!

تحـــيَّرتِ البَـــدْوُ مـــاذا تكـــو نُ، وضَـلَّتْ بـوادي الظنـونِ الحضَـر[٤]

فَكنـــتَ لهُـــم صُـــورةَ العُنْفُـــوَا نِ، وَكُنـت مِثـالَ الْحِجَـي والبَصَـر[٥]

وسِـــرُّكَ في حُجْبِـــهِ كلَّمـــا أطَلَّـــتْ عليـــهِ الظنـــونُ اســـتتر[٦]

ومـا رَاعَهُـم غـيرُ رَأسِ الرجـا لِ عَلَـى هَيكَـلٍ مِـن ذوات الظفـرُ

ولـو صُـوِّروا مِـنْ نـواحى الطّبـا ع تَوالَـوْا عَليـك سِـباعَ الصُّـور[٧]

---

(١) "وجدت" أي الحياة "يا بان الصفاة" الحجر الصلد الذي لا ينبت شيئاً وفي المثل فلان ما تندى صفاته وفي الحديث لا تقرع لهم صفاة أي لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة لأنه من الحجر "لحقت الخ" أي لا دركك الموت

(٢) فان الحياة، من المعاني المبتكرة التي لا نظن صاحب الديوان قد سبق إليها على هذا الوجه

(٣) ما أنت في المعضلات، خبرني أي معضلة أنت في المعضلات وأي معمى

(٤) تحيرت، يقول حار الناس قاطبة في أمرك حاضرهم والبادي

(٥) صورة العنفوان لما ينطوي عليه جسمك الذي صور على صورة الأسد من معاني القوة "مثال الحجي والبصر" لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه الإنسان من معاني الفطنة والبصر بالأمور

(٦) يقول ومع ذلك لا يزال سرك مكتناً في جحبه والناس من أمرك في ظلام

(٧) ولو صوروا – أي ما كان ينبغي أن يروع الناس منك إن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لأن الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطبائعهم لتوالوا عليك كأنهم وحوش. فيارب وجه كصافي النمير والنمير الماء الناجع في الري أو النامي أو الكثير، والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكره وخبثه وشراسته، ولا يخفي ما في هذا البيت من الجناس بين النمير وبين النمر، وللشعراء فيما يتصل بهذا المعنى ويقاربه ما يخطئه العد والإحصاء فمن ذلك ما يقول القائل

لا يغرنك ما ترى من أناس إن تحت الضلوع داء دويا

ويقول الابيوردي

يلقاك والعسل المصفى يجتني من قوله ومن الفعال العلقم

يبدي الهوى ويثور إن عرضت له فرص عليك كما يثور الارقم

فَيارُبَّ وَجْهٍ كَصافي النَميرِ تَشابهَ حامِلُه وَالنَّمِر

أبا الهول وَيْحكَ لَا يُستَقَلْلُ مَعَ الدهر شيءٌ ولا يُحْتَقَر [١]

تَهَـزَّأتَ دَهْـراً بِـديك الصـباح فَنقَّـــرَ عينَيـــك فيمـــا نَقَـــر [٢]

ويقول الشريف الرضى

لا تجعلن دليل المرء صورته كما مخبر سمج عن منظر حسن

ويقول

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه أبى بعد طول العمر أن يتقوما

وتقبلت منه ظاهراً متبلجاً وأدمج دوني باطناً متجهما

ولو أني كشفته عن ضميره أقمت على ما بيننا اليوم مأتما

وقال آخر

يعطيك وداً صادقاً بلسانه ويجن تحت ضلوعه ألوانا

وقال أبو فراس

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئاباً على أجسادهن ثياب

وقال آخر

ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بواد منهم غير ذي زرع

ويقول أبو تمام

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً متبسماً عن باطن متجهم

(١) لا يستقل لا يعد قليلاً وهذا البيت كالتمهيد لما بعده

(٢) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويهه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما هو هزء أبي الهول به وسخره منه وعدم اكتراثه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح. هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول أنه ورد في بعض الآثار لا تسبوا الديكة فإنها تدعو إلى الصلاة ولابن المعتز

بشر بالصبح هاتف هتفا هاج بالليل بعد ما انتصفا

مذكر بالصبوح هاج بنا تخاطب فوق منبر وقفا

أســال البيــاضَ وَسَــلَّ السَّــوادَ وَأَوْغـــــل مِنقـــــاره في الحفَـــــرْ

فعُدتَ كأنَّكَ ذو المَحْبِسَيْنِ، قَطيعَ القيام سليبَ البصر [1]

وكأنَّ الرمالَ على جانِبَيْكَ وبينَ يديك ذنوبُ البشَر

كأنَّــكَ فيهــا لــواءُ القَضــا ءِ علــى الأرض أودَيــدْبانُ القَــدَر [2]

كأنَّــكَ صــاحبُ رَمْــلٍ يَــرَى خَبــايا الغيــوبِ خِــلالَ السَّــطرَ [3]

أبا الهــول أنــت نــديمُ الزمــا نِ نجِــيُّ الأوان سمــير العُصُــر [1]

صفق اما ارتياحه لسنا الفج ر واما على الدجى أسفا

وللمعري

أياديك عدت من أياديك صيحة بعثت بها ميت الكرى وهو نائم

هتفت فقال الناس أوس بن معير أو ابن رباح بالمحلة قائم

إلى أن يقول

عليك ثياب خاطها الله قادر بها رئمتك العاطفات الوائم

وتاجك معقود كأنك هرمز يباهي به أملاكه ويوائم

وعينك سقط ما خبا عند قرة كلمعة برق ما لها الدهر شائم

وما زلت للدين القديم دعامة إذا قلقت من حامليها الدعائم

أوس بن معير هو مؤذن رسول الله بمكة بعد الفتح وابن رباح هو بلال كان يؤذن لرسول الله سفراً وحضراً ورئمتك عطفت عليك ولزمتك ويوائم يوافق ويلائم والسقط ما سقط من النار بين الزندين قبل استحكام الورى والقرة البرد

(١) "المحبسين" المحبس الموضع الذي يحبس فيه وكان يقال عن أبي العلاء المعري وهين المحبسين أي رهين عماه وبيته فكأنه من عماه في محبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكونه في محبسين

(٢) "ديدبان" فارسية معربة أصلها ديده بان ومعني ديده العين وبان أي ذو أي الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندي المكلف بالحراسة

(٣) "السطر" السطر والسطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر

بَســـطتَ ذراعيـــكَ مـــن آدمٍ ووَلَّيـــتَ وجهـــكَ شَـــطرالزُّمَر[٢]

تطـــلُّ علـــى عـــالَمٍ يَســـتهِلْ لُ وتُـــوفى في عـــالَمٍ يُحْتَضَـــرْ[٣]

فَعـــينٌ إلى مَـــن بـــدا للوجـــو دِ، وأخـــرى مُشَـــيَّعَةٌ مـــن عَـــبَر[٤]

فَحدَّث فَقَدْ يُهتَدى بالحديثِ، وخبَّر فقد يؤتَسَى بالخبَر[٥]

ألم تَـــبْ ُل فرعـــونَ في عـــزَّه إلى الشـــمس مُعتَـــزِياً والقمـــر[٦]

ظليلَ الحضارة في الأوَّلينَ، رَفيعَ البناء، جليلَ الأثر[٧]

---

(١) "نجي الأوان" النجي بوزن فعيل الذي تساره وفي الحديث اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك هو المناجي المحدث للإنسان

(٢) "من آدم" أي من قديم القديم "الزمر" جمع الزمرة الجماعة من الناس والمراد هنا الناس جميعاً

(٣) "يستهل" يعني يقدم على الدنيا من استهل الصبي بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة "يحتضر" حضر فلان واحتضر إذا نزل به الموت

(٤) وأخرى مشيعة من عبر" من مضى

(٥) "فحدث" هذا البيت هو كالمدخل لما بعده

(٦) "ألم تبل فرعون" بلاه يبلوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولى ملك مصر كالنجاشي لملوك الحبشة وقيصر لملوك الرومان وفرعون أصلها في الهيروغليفية مركبة من بي وهي أداة التعريف كأل وراع أي الشمس فتكون كلمة واحدة وراع أو راهو معبود قوي وحاكم جبار يقاتل احتفاظاً بالحياة وإبقاء على الكون ومن هنا كان العتو والجبروت وما في معناهما من مدلولات كلمة فرعون عند العرب – وإذاً لا يقصد بفرعون فرعوناً معيناً ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبو الهول "إلى الشمس معتزياً" يقول ألم تبل يا أبا الهول فرعون وهو في عزه حتى لكأنه من العز والمعنة بحيث يناطح الشمس والقمر لأن من اعتزى إلى شيء قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة أوزيريس "الشمس" وايزيس "القمر" لأنهما من أصنامهم فلعله يشير إلى هذا مع إرادة معنى العز والمنعة

(٧) "ظليل الحضارة" مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون في ذراها وكنفها والحضارة بكسر الحاء وفتحها الإقامة في الحضر والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البدو والبادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار قال القطامي

يُؤَسَّسُ في الأرض للغابرينَ ويغرِسُ للآخرين الثَّمر [1]

وراعـك مـا راعَ مِـنْ خَيْـلِ قَمْبيـزَ تَرمـــــي سَـــــنابكُها بالشَّـــــرَر [2]

جَـــوَارفُ بالنَّـــار تغْـــزُو الـــبلا دَ وآونـــــةً بالقَنـــــا المشْـــــتَجِر

وَأبصَـــرْت إِســـكَنْدراً في المَـــلاَ قَشـــيبَ العـــلاَ في الشَّـــبابِ النَّضـــر [1]

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا

وقال المتنبي

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

ولكن الحضارة هنا بمعنى التمدين

[1] "للغبرين" الغابر من الاضداد فيكون بمعني الباقي ويكون بمعنى الماضي ومن ثم يكون معنى البيت أما أن فرعون يخلد ذكر الماضين بإقامة الآثار لهم والتمثيل ويغرس للآتين ما يجنون ثمره دور العلم والعرفان وما إليها وأما أن فرعون يؤسس للآتين ويغرس لهم كل ما يجدي ويثمر

[2] "قمبيز" هو ابن كورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس العظيمة ومعلوم أن الفرس من الدول الذي عزت مصر واستولت عليها حيناً من الدهر قال المؤرخون أخذ الفرس في غزو مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين ولى الملك "أبسمتيك الثالث" أحد ملوك هذه الأسرة فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم "قمبيز" بجيش جرار لفتح البلاد التي طالما شرهت نفس أبيه كورش العظيم إلى اخضاعها وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة. يقول مؤرخو الإغريق أن أحد الجنود اليونانية هو الذي خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهم الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة "بلوز" "الفرمان" بحراً وزحفت الجنود الفارسية على مصر براً وبعد مقاومة عنيفة جهتي بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيراً وكان ذلك سنة ٥٢٥ قبل الميلاد. ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم دياناتهم وتقليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكر على المعابد والهياكل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته إلى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١

ولما ولي ملك فارس دارا الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلاً عظيماً للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيراً من المدارس وفتح الخليج الموصل ما بين النيل والبحر الأحمر ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر في واقعة "مرتون" في حربه مع الإغريق فخرجوا عن طاعته وطردوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق.م ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون منة ٤٠٥ ق.م

تَـــبلَّجَ في مِصْـــرَ إِكليلـــهُ فَلـم يَعْـدُ في المُلْـك عُمْـرَ الزَّهَـر

وَشـاهدتَ قيصـرَ كيـفَ اسـتَبدْ دَ، وكيـــف أذلَّ بمصـــرَ القَصَـــرْ[٢]

وكيـــف تَجبَّـــرَ أعوانُـــه وســـاقوا الخلائـــقَ سَـــوْقَ الحُمـــرُ

وكيف ابتُلُوا بقليل العديدِ من الفاتحين كريم النَّفَرَ

---

(١) "اسكندر" هو الإسكندر الأكبر المقدوني الفاتح العظيم قال المؤرخون بعد أن هزم الإسكندر الفرس في واقعة اسوس زحف على مدينة صور فأخذها عنوة وبذلك تم استيلاؤه على الشام ثم قدم إلى مصر وكان الفرس قد استدعوا حاميتها منها بسبب حروبهم مع الإسكندر فلما وصل الإسكندر إلى "بلوز" "الفرمان" سنة ٣٣٢ ق.م رحب به المصريون لما سمعوه من عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس ففتحت مصر أبوابها ودخلها دون عناء حتى أن الوالي الفارسي لم يجرؤ على مقاومته وقابله في منف بترحاب ومن ثم سار الإسكندر إلى الواحة الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الإغريقية فأدخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية ولما رأى الإسكندر أن قرية "راقوده" وهي قرية صغيرة

كانت بقرب الإسكندرية – ذات موقع بحري موفق أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هي الإسكندرية وبعد أن استوثق الأمر للإسكندرية في مصر خرج إلى فتوحاته الأخرى في المشرق وكانت وفاته سنة ٣٢٣ وكان عمره إذ ذاك ٣٢ سنة ونيفاً ولم يقم بمصر كما ترى إلا قليلاً فذلك حيث يقول في البيت التالي "فلم يعد في الملك عمر الزهر" وخلف الإسكندر على مصر البطالة وما زالوا بها إلى أن استولى الرومان عليها "أكليلة" تاجه

(٢) قيصر أسلفنا أن قيصر هذا لقب ملوك الرومان قال المؤرخون ما كادت دولة الرومان تظهر بين ممالك الأرض حتى أخذت العلائق تنشأ بينها وبين دولة البطالة في مصر ولبثت بين الدولتين مدة طويلة من أيام مجد البطالة إلى انقراضهم تطورت أثناءها في عدة أطوار: ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالة ثم انتقلت إلى حمايتهم لهم ثم السيطرة عليهم ثم انتهت باستيلائهم على مصر سنة ٣٠ ق.م. في عهد أغسطس ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها في عهد خمول سياسي طويل امتد نحواً من ٦٧ سنة لم يكن لها فيه شيء يذكر في التاريخ بل كانت كحقل لإنتاج الحبوب وتصديرها إلى رومية لسد أهم جزء من الخراج وما زال الرومان بمصر حتى أدال الله منهم بالعرب سنة ٦٤١ على يد عمرو بن العاص فذلك حيث يقول "وكيف ابتلوا بقليل العديد الخ" القصر أي الأعناق قال الشاعر

لا تدلك الشمس إلا حذو منكبه في حومة تحتها الهامات والقصر

رمـى تاج قيصـر رمـي الزجـا ج، وفـل الجمـوع وثـل السـرر[١]

فـدع كـلَّ طاغيـةٍ للزمـا نِ فـإن الزمـانَ يُقـيم الصَّـعَر[٢]

رأيـتَ الـديانات في نَظْمِهـا وحـينَ وَهَـي سـلكُها وانتثـر[٣]

تشـاد البيـوتُ لهـا كـالبرو جِ إذا أخَـذَ الطَّـرْفُ فيهـا انحسَـر[٤]

تَلاَقَـى أساسـاً وشُـمَّ الجبـا لِ كمـا تتلاقـى أصـولُ الشـجر[٥]

وإيـزيسُ خَلْـف مقاصـيرها تَخَطَّـى الملـوكُ إليهـا السُّـترُ[٦]

---

(١) رمى أي هذا النفر القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وفل الجموع. هزمها. وثل السرر كسرها والسرر جمع سرير والمراد بها هنا العروش التي يجلس عليها القياصرة

(٢) "الصعر" ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين وقد صعر خده أمله من الكبر قال المتلمس

وكنا إذا الجبار صعر خدهأقمنا له من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر يعدل الطغاة يقال أقمت الشيء فقام أي استقام

(٣) "في نظمها وحين وهي سلكها" في حالتي قوتها وضعفها

(٤) "انحسر" كل والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر

(٥) "تلاقى" تتلاقى بحذف إحدى التاءين يريد أنها راسخة رسوخ الجبال

(٦) "إيزيس" هي من معبودات قدماء المصريين وهي أخت أوزيريس وزوجته في الوقت نفسه وأم هوروس وهاربوقراط – يرى قدماء المصريين أن إيزيس هذه وليت أمر مصر مع أخيها وزوجها أوزيريس حينا من الدهر ازدهرت فيه الزراعة ويؤخذ من تقاليد إيزيس أنها عندهم رمز للقمر وأوزيريس رمز للشمس ومن هنا يريد بإيزيس القمر وقوله تخطى أي تتخطى بحذف إحدى التاءين وقوله تضيء على صفحات السماء أي إيزيس بمعنى قمر السماء الحقيقي وقوله وتشرق في الأرض منها الحجر أي القمر بمعنى المعبود في الأرض وعلى ذلك يكون في الكلام استخدام وهو عند علماء البيان أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره الآخر أو يراد بأحد ضميرين أحدهما ثم بالآخر الآخر فالأول كقول معوذ الحكماء

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

فإنه أراد بالسماء الغيث وبضميره النبت. والثاني كقول البحتري

فسقى الغضا والساكنيه وإن هموا شبوه بين جوانح وقلوب

فإنه أراد بضمير الغضا في قوله والساكنيه المكان وفي قوله شبوه أي أوقدوه الشجر "الحجر" جمع حجرة كغرفة وغرف

تضيءُ على صفحات السما ... ءِ وتُشرِقُ الأرض منها الحُجر

وآبيسُ في نِيرِه العالَمو ... نَ، وبعضُ العقائدِ نِيرٌ عَسِرْ [١]

تُساس به معضِلات الأمو ... رِ، ويُرْجَى النعيمُ وتُخشى سَقَر

ولا يَشعُرُ القوم إلاَّ به ... ولو أخَذَتْهُ المُدى ما شَعَر

يَقِلُّ أبو المِسْكِ عَبْداً له ... وَإن صاغَ أحمدُ فيهِ الدُّرَر [٢]

وآنستَ موسى وتابوتَه ... ونُورَ العَصا والوصايا الغُرَر [٣]

وعيسى يَلُمُّ رِداءَ الحيا ... ءِ ومريمُ تَجْمع ذيلَ الخَفَر [٤]

وعْمرٌو يسوقُ بمِصرَ الصَّحا ... بَ ويُزْجِي الكتابَ ويحدو السُّور [٥]

فكيف رَأيتَ الهُدَى والضلا ... لَ ودُنيا الملوكِ وأُخرى عُمَر [١]؟

---

(١) "وآبيس" هو العجل أبيس، رووا أن تيفون إله الشر تغلب أخيراً على أوزيريس إله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقى وكانوا يعتقدون أن العجل الذي تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من الشمس وشعاع من القمر وله علامات ظاهرة في جسده فإنه يكون أسود اللون وفي جبهته سمة بيضاء مربعة أو مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه وكان الكهنة عندما يجدون العجل بعد موت سلفه يركبون مركبة حربية ويسيرون به باحتفال عظيم إلى هليوبوليس وكانوا يضعونه فيها في هيكل يتركونه مفتوحاً للعبادة أربعين يوماً وكان الأهالي عند موته ينوحون ويلبسون ثوب الحداد ويضعونه في ناووس ثمين جداً وكانوا يقومون بالاحتفال بأيامه المقدسة كل سنة عند إرتفاع النيل وذلك بإقامة الولائم والأفراح وكانوا يطرحون في ذلك الوقت إناء من الذهب في النيل لإخماد غضب التماسيح "في نيره" النير هو الخشبة المعترضة على عنق الثور المقرونين للحراسة بآذانهما وهم يقولون فلان تحت نير فلان يريدون الخضوع والاستخذاء

(٢) "أبو المسك" كافور الإخشيدي "أحمد" أبو الطيب المتنبي

(٣) وتابوته ونور العصا والوصايا الغرر – التابوت الذي وضع فيه موسى وقذف به في النيل وعصا موسى وما كان منها من الآيات والوصايا العشر –كل أولئك معروف فلا حاجه بنا إلى الإضافة فيه

(4) وعيسى يلم رداء الحياة – يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياة ومثله في ذلك العذراء

(١) وعمرو. يقول وقد رأيت عمرو بن العاص إذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويزجي كتاب الله وآياته

ونَبْـذَ المُقَـوقِس عَهْـدَ الفُجـو ... رِ وأخْـذَ المقـوقس عهـدَ الفَجَـر ٢

وتَبْديلـــه ظلمـــات الضـــلا ... لِ بِصُـــبح الهدايـــة لمـــا سَـــفَر ٣

وتأليفَـــه القِـــبطَ والمســـلمي ... نَ كمـــا أُلِّفَـــتْ بالـــولاء الأُسَـــر ٤

أبا الهـول: لـو لم تكـن آيـةً ... لكـان وفَـاؤُكَ إحـدى العِـبَر ٥

أطلـتَ علـى الهـرمَين الوقـو ... فَ كَثاكلـةٍ لا تَـريم الحفـر ٦

وتُرَجّـــى لبانيهـــا عـــودةً ... وكيـــف يَعـــودُ الـــرميم النخِـــر ٧؟

تَجـوس بِعـينٍ خِـلالَ الـديا ... رِ وَتَرمـي بأخـرى فَضـاء النَّهَـر ٨

تـــرومُ بِمَنْفـــيسَ بِـــيضَ الظبـــا ... وَسُمْـــرَ القَنـــا والخَمـــيسَ الـــدَّثر ١

---

(٢) فكيف رأيت. يقول خبرني يا أبا الهول كيف رأيت فرق ما بين هدى المسلمين وأخرى عمر أي دنياه التي كأنها الأخرى في الصلاح وما إليه من كل ما كان مائلاً أيام الفاروق ﷺ وأرضاه. وما بين الضلال ودنيا الملوك من القياصرة والفرس والروم ومن إليهم

(٣) "المقوقس" هو. سيروس. بطريق الطائفة الملكانية بالإسكندرية والحاكم الإداري بمصر من قبل الرومان والذي فتح عمرو بن العاص في عهده وفي المقريزي أنه يسمى المقوقس ابن قرقفت. ولعله محرف عن سيروس "عهد الفجور" عهد الانحراف من الصراط السوى عهد الإسراف في المعاصي والآثام. عهد الرومان الذي استبدل به المقوقس عهد الفجر أي عهد الخير العميم، عهد النور، عهد التقى والإصلاح، عهد الإسلام. إذ ملأ المسلمين وعبد لهم طريق الفتح

(٤) "وتبديله" في معني البيت الذي قبله "لما سفر" سفر الصبح وأسفر أضاء

(٥) "وتأليفه" أي المقوقس "الأسر" جمع الأسرة وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون

(٦) إحدى العبر. إحدى الآيات

(٧) أطلت الخ. بيان لوفاء أبي الهول كثاكلة. يقول إنك في إطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك كثاكلة ولدها لا تبرح قبره ولا تزايله فالثكلة هي التي فقدت ولدها ولا تريم أي لا تبرح والحفر جمع حفرة وهي ما يحفر في الأرض والمراد بها هنا القبر

(٨) "لبانيها" أي لباني الهرمين

(1) "تجوس" تطوف وتتخلل "النهر" النهر والنهر واحد الأنهار يعني نهر النيل

ومهـــد العلـــوم الخطـــيرَ الجـــلا لِ وعهـــدَ الفنُـــون الجليـــلَ الْخَطَـــر

فـــلا تســـتبين سِـــوى قريـــةٍ أجَـــدَّ محاســـنَها مـــا انـــدثر ٢

---

(٢) "ترمي" تنشد وتطلب "بمنفيس" منف – وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة – هي عاصمة ملك الفراعنة والذي بناها هو مينا مؤسس الأسر المالكة وكانت كما قال شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر ولا يخفي ما في هذا البيت من العكس والعكس هذا من المحسنات البديعة وهو أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت مثل قول الحماسي

فرد شعورهن السود بيضاء ورد وجوههن البيض سودا

وقول أبي الطيب:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقول الآخر:

إن الليالي للأنام مناهل تطوي وتنشر دونها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

"الخميس الدثر" الجيش الكثير – يقول أنك يا أبا الهول لأوفى الأوفياء إذ كأني بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة والمدنية الزاهية التي تمليت بها حيناً من الدهر وشاهدت عصرها الذهبي ثم ذهبت وذهب أهلوها وصبحت منفرداً وحيداً

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأبى عليك وفاؤك إلا أن تطيل الوقوف على الهرمين شأن الثكول فقدت وحيدها فأبى عليها وجدها أن تريم قبره وكأنك في وقوفك هذا ترجي لباني الهرمين عودة تعود معها تلك المعاني الساميات، وتنشد بمنفيس وهي منك عن كثب عهد القوة والعظمة والسلطان وعهد العلوم والعرفان وعهد الفنون والخطير الجلال مما رأيت في الزمن الخالي فلا تصيب شيئاً من ذلك ولا تقع عينك من منفيس هذه إلا على قرية قد اندثرت ودمنة قد عفت تكاد لإغراقها في الجمود إذا الأرض دارت لها لم تدر فترى في هذه الأبيات صورة أبي الهول في وقوفه هذا صورة شعرية آية في الإبداع والتخيل الشعري ثم ترى وصف عظمة المصريين وإن مصر كانت مهد الحضارة والتمدين ولا جرم فقد أمها وجاوز فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المتشرعين وفيثاغورس وأفلاطون وإقليدس من شيوخ الفلسفة كما نؤم اليوم بلاد المغرب للمجارة فيها والإفادة منها ومن هنا قال بعد ذلك فهل من يبلغ عنا الأصول

(١) "أجد محاسنها ما اندثر" يقول إن طاولها الدوراس ورسومها المندثرة البوالي أجدت محاسنها وهو معنى دقيق عجيب ولعله ينظر إلى قول أبي نواس

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم

تجافى البلا عنهن حتى كأنما لبسن على الإقواء ثوب نعيم

تكـــاد لإغراقِهـــا في الجمـــو دِ إذا الأرض دارت بهـــا لم تَـــدُرْ

فهـل مـنْ يُبلـغُ عنَّـا الأصـو لَ بأن الفـروعَ اقتـدت بالسـير ١؟

وأنا خَطبنـــا حســـانَ العُـــلا وســـقنا لهـــا الغـــاليَ المـــدَّخَر

وأنا ركِبنـــا غمـــار الأُمـــو رِ وأنَّا نزَلنـــــا إلى المـــــؤتَمر ٢

بكـــل مُبـــينٍ شـــديد اللـــدا د وكـــلَّ أريـــبٍ بعيـــد النظـــر ٣

تُطالـــب بالحـــق في أُمَّـــةٍ جَـــرى دمُهـــا دونـــه وانْتَشـــر ٤

وَلم تفتخـــــر بأســـــاطيلها ولكـــــن بِدسْـــــتورها تَفتخـــــر ٥

فَلم يَبقَ غيرُك من لم يخِفْفَ وَلم يَبقَ غيرُك من لم يَطر

تحـــرَّك أبا الهَـــول هـــذا الزمـــا نُ تحـــركَ مـــا فيـــه، حـــتى الحَجـــر؟

على قبر نابليون

هذه القصيدة إحدى عدة قصائد نظمها الشاعر في منفاه

هذا ويجوز أن يكون أجد مبتدأ وما اندثر خبر أي أن أجد ما في هذه القرية وأجله هو آثارها الدوارس

(٢) "الأصول" أصولنا وآباؤنا الذين وصف "الفروع" نحن المصريين أبناء هذا الجيل "اقتدت بالسير" فحذت حذو أصولها إذ كان منا في هذه الآونة ما قصه بعد

(٣) "غمار الأمور" شدائدها جمع غمرة "المؤتمر" مؤتمر الصلح الذي عقد على أثر انتهاء الحرب الأوروبية العامة سنة ١٩٢٠ الذي فزعنا إليه في شخص الوفد المصري

(٤) الشديد اللداد أي الشديد الخصومة والجدل الذي لا يغلب والأريب العاقل البعيد النظر

(٥) "تطالب" أي الفروع "دونه" دون هذا الحق

(٦) "ولم تفتخر" أي أنها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش وأسطول وما إلى ذلك ولكنها تعتز بحقها الطبيعي الذي ليس إلا به كيانها

قِفْ عَلَى كَنْزٍ بباريسَ دفينْ ... من فريدٍ في المعالي وثَمين

وافتقِدْ جوهرةً من شرفٍ ... صَدَفُ الدهر بِتربيْها ضنين[1]

قد توارتْ في الثرى حتى إذا ... قدُمَ العهدُ توارت في السنين

غُرَّبَتْ حتى إذا ما استيأستْ ... دنتِ الدارُ ولكن لاتَ حين

لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتَها ... وأذابتْه تباريح الحنين[2]

لا تلوموها، أليستْ حرةً ... وهَوى الأوطانِ للأَحرارِ دين؟

غيَّبت باريسُ ذخراً ومضى ... تُرْبُها القيّمُ بالحرْزِ الحصين[3]

نَزلَ الأرضَ ولكن بعد ما ... نزلَ التاريخ قبرَ النابغين

أعظُمُ الليثِ تلقَّاها الثَّرَى ... ورُفاتُ النَّسرِ حازتْه الوكون[4]

وحَوى الغِمدُ بقايا صارمٍ ... لم تُقلَّبْ مثلَهُ أيدي القُيون[5]

شيَّدَ الناسُ عليه وبنوْا ... حائط الشكِّ على أُسِّ اليقين[6]

لستَ تُحصِي حوله ألْوِيةً ... أُسِرتْ أمسِ ورايات سُبِين[7]

---

(١) الترب اللدة والنظير والتثنية هنا في معنى الأفراد

(٢) تباريح الشوق توهجه على أنه جمع لا مفرد له أو هو جمع تبريح

(٣) الحرز الموضع الحصين

(٤) الشرى مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل. والوكون جمع وكن وهو عش الطائر في جبل أو جدار

(5) الصارم السيف القاطع والقيون جمع قين وهو صانع الحديد. والشرى والوكون والغمد كلها في هذين البيتين كنايات عن باريس

(1) حائط الشك كناية عن القبر وأس اليقين هو الموت الذي يتمثل فيما يضمه القبر من رفات

(٢) يشير إلى تلك الأعلام التي غنمها نابليون في حروبه. ثم وضعت على قبره رمزاً لما نال في هذه الحروب من نصر وتوفيق

نام عنهـــا وهـــي في سُـــدَّتِه ... دَيْـــدُبانٌ ســـاهِرُ الجُفْـــنِ أمـــين

وكـــأيٍّ مـــن عـــدوٍّ كاشِـــحٍ ... لـــك بالأمـــس هـــو اليـــوم خـــدين[1]

ووليٍّ كـــان يســـقيك الهـــوى ... عســـلاً قـــد بات يســـقيك الـــوزين[2]

فـــإذا اســـتكرمْتَ وُدّاً فـــاتَّهم ... جـــوهرُ الـــوُدَّ وإن صـــحَّ ظنـــين[3]

مَرْمَـــرٌ أُضْـــجِعَ في مَسْـــنونِه[4] ... حَجـــرُ الأرضِ وضِـــرْغامُ العـــرين[5]

جلَّلَتْـــهُ هيْبَـــة الثـــاوي[6] بـــه ... رَوْعـــةَ الحكمـــةِ في الشِّـــعر الرصـــين

هـــل درَى المرمـــرُ مـــاذا تحتـــه ... مـــن قُـــوىَ نفـــسٍ ومـــن خلْـــقٍ متـــين؟

أيُّهـــا الغـــالون[7] في أجْـــداثهم ... ابحثـــوا في الأرض: هـــل عيســـى دفـــين؟

يمَّحِـــي المْيـــتُ ويبلَـــى رمسُـــه ... ويَغُـــولُ الرَّبْـــعَ مـــا غـــالَ القطـــين[8]

حصِـنّوا مـا شـئتُمو مَوْتاكمـو! ... هـل وراءَ الموتِ مـن حصـنٍ حصـين؟

لـيس في قـبرٍ وإن نالَ السُّـها ... مـــا يزيـــد المْيـــتَ وزناً ويَـــرين[9]

فـانزِل التـاريخَ قـبراً أو فـنْم ... في الثـرى غُفـلاً[10] كـبعضِ الهامـدين[1]

---

(٣) العدو الكاشح هو الباطن العداوة والخدين هو الصاحب والحبيب

(٤) الوزين حب الحنظل المطحون

(٥) الظنين المتهم

(٦) المرمر المسنون المصقول

(٧) حجر الأرض كناية عن محورها والمراد به نابليون والضرغام الأسد

(٨) الثاوي المقيم

(٩) الغالون جمع غال وهو المسرف

(١٠) يمحي أي يزول والرمس القبر والقطين السكان

(١) السها كوكب من بنات نعش الصغرى يضرب به المثل في السمو والارتفاع

(٢) غفلا أي مجهولاً

واخدِعِ الأحْياءَ ما شئْت فلن ... تجِـــدَ التـــاريخَ في المنخـــدعِين!

يا عِصـاميًّا حَـوَى المجدَ سوَى ... فَضْـلةٍ قـد قُسِّـمت في المُعـرقين[1]

أمُّـك الـنفسُ قـديماً أكرَمـت ... وأبـوكَ الفضْـلُ خـيرُ المنجبـين[2]

نَسَبُ البدرِ أو الشمسِ– إذا ... جـئَ بالآباءِ – مغمـورٌ رهـين

وأُصولُ الخمرِ ما أزكى على ... خُبْـثِ مـا قـدْ فعلـتْ بالشـاربين

لا يَقُـولنَّ امـرؤ أصـلي، فمـا ... أصـلهُ مسْـكٌ وأصـلُ النـاس طـين!

قـد تتوَّجْـتَ فقالـتْ أمَـمٌ: ... ولـدُ الثـورةِ عـقَّ الثـائِرين

وتزوَّجـتَ فقـالوا: مـا لَـه ... ولحـورٍ مـن بنـات المْلـك عـين[3]؟

قسماً لـو قَـدروا مـا احتشـموا ... لا يَعِـفُّ النـاسُ إلا عـاجزين

أرأيـتَ الخـيرَ وافَى أمَّـةً ... لم ينـالوا حظَّهـمْ في النـابغين

يصـلُحُ المْلـكُ عَلَـى طائفـةٍ ... هـم جمـالُ الأرض حينـاً بعـد حـين

مـلأوا الـدنيا، عَلَـى قِلَّـتهم ... وقـديماً مُلئَـتْ بالمرسَـلين

يحسُـنُ الـدهرُ بهـم مـا طلعـوا ... وبهـم يـزدادُ حسـناً آفلـين[4]

قـد أقـاموا قُـدوةً صـالحةً ... ومضْـوا أمثلـةً للمحتَـذِين

إنما الأسوةُ – والدنيا أُسًى – ... سـببُ العُمـرانِ نظـمُ العـالمين[5]

---

(٣) الفضلة البقية من كل شيء والمعرق العريق في الأصل

(٤) أكرمت أي ولدت كراماً

(٥) يشير إلى زواجه من ماري لوبز ابنة إمبراطور النمسا

(1) أفول النجم غروبه والمراد به هنا الموت

(٢) الأسوة القدوة وجمعها أسى

يا صريعَ الموتِ نَدمانَ البِلَى كلُّ حيٍّ بالذي ذُقتَ رَهين[1]

كدتَ من قتلِ المنايا خبرةً تعلَمُ الآجالَ أيان تحين[2]

يا مُبيدَ الأسدِ في آجامها هل أبادتْ خيلكَ الدودَ المهين؟

يا عزيزَ السجنِ بالبابا إلى كم تردَّى في الثرى ذُلَّ السجين[3]؟

ربَّ يومٍ لك جَلَّى وانثنى سائلَ الغُرَّةِ ممسوحَ الجبين[4]

أحرزَ الغايةَ نصراً غالياً لفرنسا وحَوى الفتحَ الثمين

قيصرَا الأنسابِ فيه نازَلا قيْصرَ النفسِ عصامَ المالكين[5]

مُجلسَ التاجِ عَلَى مفرقهِ بيديْه لا بأيدي المُجلسين[6]

حولَ (أسترْليزَ) كان الملتقَى واصطدام النَّسر بالمستنسِرين[7]

وُضِع الشِّطرنْجُ فاستقبلْتهُ ببنانٍ عابثٍ باللاعبين

فإذا المَلْكان هذا خاضِعٌ لك في الجمْعِ وهذا مُستكين[8]

---

(٣) الندمان النديم على الشراب وندمان البلى كناية عن الميت

(٤) يشير إلى قول نابليون: "إن الرصاصة التي تخترق هذا الصدر لم تخلق بعد". ويقول إنك لكثرة ما اختبرت المنايا بقتل أعدائك أصبحت تعرف متى تحين الآجال

(٥) يشير إلى ما فعل نابليون بالبابا

(٦) جلى سبق، والغرة في جبين الفرس بياض، ومسح الجبين عادة لسواس الخيل يأتونها بعد سبق جيادهم في حلبة الرهان. ولا يخفي ما في البيت كله من مراعاة النظير

(٧) يريد بقيصرى الأنساب ملكي الروس والنمسا وقد ولدا للملك والسلطان. وقيصر النفس نابليون وهو الذي سودته نفسه ولم تسوده الأنساب

(٨) الإشارة إلى نابليون. يشير إلى أنه هو الذي توج نفسه بيده يوم قدم إليه التاج، ولم يرد لأحد ممن قدموه له حقاً في هذا العمل

(١) استرليتز موقعة من المواقع التي انتصر فيها نابليون

(٢) الملك بتسكين اللام هو الملك

صِدْتَ شاهَ الرُّوسِ والنمسا معاً ... من رأى شاهَيْنِ صيدا في كمين؟

يا مُلَقَّي النصرِ في أحلامِه ... أين من وادي الكرى: سنتهلين[1]؟

يا مُنيلَ التاجِ في المهدِ ابنَه ... ما الذي غرَّكَ بالغيبِ الجنين[2]؟

اتَّئِدْ في أمةٍ أرْهَقْتَها ... إنها كالناسِ من ماءٍ وطين

أتعَبَ الريحَ مَدَى ما سَلكتْ ... من سُهولٍ وأجازتْ من حُزون[3]

من أديمٍ يهرأ الدبَّ إلى ... فَلواتٍ تُنضجُ الضبَّ الكنين[4]

لك في كلِّ مُغارٍ غارُه ... وعليها الدمعُ فيه والأنين[5]

ومن المكرِ تغنّيكَ بها ... هل يزكّى الذَّبحَ غيرُ الذابحين[6]؟

سُخَّرَ الناسُ وإن لم يشعروا ... لقويٍّ أو غنيٍّ أو مُبين

والجماعاتُ ثنايا المرتَقي ... في المعالي وجُسورُ العابرين

يا خطيبَ الدهرِ هل مال البِلَى ... بلسانٍ كان ميزانَ الشُّئون؟

ترْجَحُ السلمُ إذا حرَّكتَه ... كِفَّةً أو ترجَحُ الحربُ الزبون

خُطَبٌ لا صوتَ إلا دونَها ... في صداها الخيلُ تجري والسنين

من قصيرِ اللفظِ في مكرِ النُّهى ... وطويلِ الرُّمحِ في كيد الوتين

---

(٣) سانت هيلين الجزيرة التي نفي إليها نابليون

(٤) يشير إلى قول نابليون يوم بشر بولي عهده أو كما سماه " ملك رومة" – المستقبل لي

(٥) الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض

(٦) الأديم هنا سطح الأرض وهرأ اللحم أنضجه والكنين المستور في جحره

(٧) المغار الغارة على الأعداء والغار ورق الكروم قد كان يتخذ منه اكليل للفاتح المنصور عند القدماء

(٨) التزكية المدح، والذبح ما يذبح

غـــيرَ وضَّـــاعٍ ولا واشٍ ولا مُنكَـــرِ القـــولِ ولا لَغـــو اليمـــين

سِـــرْنَ أمثـــالاً فلـــو لم يُحيـــهِ ســـيفُهُ أحْيينَـــه في الغـــابرين[1]

قـمْ إلى الأهـرام واخشـعْ واطَّـرِحْ خيْلـةَ الصِـيّد وزهـوَ الفـاتحين[2]

وتمهَّـــلْ إنمـــا تمشـــي إلى حَـــرَمِ الـــدهرِ ومحـــراب القـــرون

هـو كالصـخرةِ عنـد القـبط أو كـالحطيم الطَّهـر عنـد المسـلمين

وتســـنَّم مِنـــبراً مـــن حَجَـــرٍ لم يكـــنْ قبلَـــكَ حـــظَّ الخـــاطبين

وادْعَ أجيـالاً تولَّـتْ يَسْـمعـوا لـــك وابعـــثْ في الأوالي حاشـــرين

وأعـــدْها كلمـــاتٍ أربعـــاً[3] قـــد أحاطـــتْ بالقـــرون الأربعـــين

ألهبـتْ خـيْلاً وحضَّـت فيْلقـاً وأحالـــتْ عســـلاً صـــابَ المَنـــون

قـد عَرضـتَ الـدهَر والجيشَ معاً غايـــة قصَّـــرَ عنهـــا الفـــاتحون

مـــا علمنـــا قائـــداً في مَـــوْطِنٍ صَـفَحَ[4] الـدهرَ وصـفَّ الـدارعين

فـــترى الأحيـــاء في مُعـــترَكٍ وتـــرى المـــوْتى علـــيهم مُشـــرِفين

عظـــةٌ قـــومي بهـــا أوْلى وإن بَعُـــدَ العهـــدُ، فهـــل يعتـــبرون؟

هـــذه الأهـــرامُ تاريخهمـــو كيـف مـن تاريخهـم لا يسـتحون!

يا كثـيرَ الصَّـيْدِ للصَّـيد العُـلا قـم تأمَّـل كيـف صـادتْكَ المنـون

---

(١) الغابر الماضي والآتي من أسماء الاضداد

(٢) الصيد الملوك

(٣) يشير إلى تلك الجملة المشهورة التي قالها وهو على قمة الهرم يشجع جنوده البواسل "أيها الجنود: إن أربعين قرناً ننظر إليكم من قمة الأهرام"

(٤) صفح الكتاب قلب صفحاته

قــم تــرَ الــدنيا كمــا غادرْتهــا ... منــــزِلَ الغــــدرِ ومــــاءَ الخــــادعين

وتــــر الحــــقَّ عزيــــزاً في القنــــا ... هيّنــــاً في العُــــزَّل المستضــــعَفين[1]

وتــرَ الأمــرَ يــداً فــوق يــدٍ ... وتــــرَ النــــاسَ ذئاباً وضِــــئين[2]

وتــــرَ العــــزَّ لســــيف نَــــزِقٍ ... في بنــــاءِ المُلْــــكِ أو رأى رزيــــن

ســـننٌ كانـــت، ونظْـــمٌ لم يـــزلْ ... وفســـــادٌ فـــوق باعِ المصـــلحين

---

(١) القنا جمع قناة وهي الرمح

(٢) الضئين الغنم

بين الحجاب والسفور

في فجر النهضة المصرية انبعثت للسفور دعاية ضعيفة قوبلت بكثير من التجريح والتشهير. فنظم الشاعر هذه القصيدة مناجاة لطائر مغلول ضمتها رأيه في النزاع القائم بين أنصار الحجاب ودعاة السفور. نظمت في سنة ١٩٠٨

صـــدَّاحُ يا ملـــك الكنـــا ... رِ ويا أمـــــيرَ البُلبـــــل[١]

قـــد فـــزتُ منـــك (بمعبـــدٍ) ... ورُزقـــتُ قـــربَ (الموصِـــلي)[٢]

وأُتـــــيحَ لي (داودُ) مِـــــز ... مـــاراً وحســـنَ ترتـــل[٣]

فـــوق الأســـرةِ والمنـــا ... بـــر قـــطُ لم تترجَّـــل[٤]

تهتـــــز كالـــــدينار في ... مُـــرتجَّ لحـــظِ الأحـــوال[٥]

وإذا خطـــرتَ علـــى المـــلا ... عـــبِ لم تـــدع لممثـــل[٦]

ولـــك ابتـــداءات (الفـــرز ... دق) في مقـــاطع (جِـــرول)[١]

---

(١) الصداح الصياح الرفيع الصوت. الكنار والكناري طائر حسن الصوت ريشه أبيض يضرب إلى الصفرة وقوادم جناحيه طويلة إلى الحضرة وينسب إلى جزائر كناريا وهي الجزائر الخالدات. البلبل طائر صغير سريع الحركة يضرب به المثل في طلاقة اللسان

(٢) معبد مغن مشهور كان أيام الدولة الأموية والموصلي يطلق على إسحاق الموصل وابنه إبراهيم وكانا مغنيين وكان لهما مع ذلك فقه وأدب

(٣) داود النبي ومزاميره ما كان يترنم به من الأدعية والأناشيد

(٤) الترجل أن ينزل المرء عن ركوبته ويمشي

(٥) الأحوال من في عينه حول

(٦) لم تدع لممثل أي لم تترك له ما يجيده من التمثيل والغناء لأنك أجود صوتاً وفناً من كل مغن وممثل

ولقــد تخــذتَ مــن الضُّــحى صُــفرَ الغَلائــل والحلــي[٢]

ورويــتَ في بــيض القــلا نــسِ عــن عــذارى الهيكَــل[٣]

يا ليــت شــعريَ يا أســيرُ شــجٍ فــؤادُك أم خَــل؟[٤]

وحليــفُ ســهدٍ أم تنــا مُ الليــلَ حــتى يَنجلــي؟[٥]

بالــرغم مــني مــا تعــا لجُ في النُّحــاس المقفَــل[٦]

حِرصــي عليــك هــوىً، ومــن يُحــرِز ثمينــاً يبخــل

والشــحُّ تُحدثُــه الضــرو رةُ في الجــوادِ المُجــزِل[٧]

أنا إن جعلتُــكَ في نُضــا رٍ وبالحريــرِ مُجلّــل[٨]

ولففتُــه في سَوْسَــنٍ وخففتُــه بقَرَنفُــل[٩]

---

(١) الفرزدق لقب همام بن صعصعة الشاعر المشهور كان في صدر الدولة الأموية وجرول اسم الخطيئة وهو شاعر أدرك الجاهلية والإسلام. والابتداءات أوائل القصائد والمقاطع جمع مقطع وهو آخر بيت من القصيدة

(٢) الغلال واحدتها غلالة بكسر الغين وهي شعار يلبس تحت الثوب يشير بهذا المجاز إلى أن طائره الصداح أصفر اللون

(٣) القلانس جمع قلنسوه نوع من لباس الرأس. العذارى جمع عذراء وهي البكر. الهيكل معناه هنا الموضع في صدر الكنيسة يقرب فيه القربان كما تزعم النصارى، وفي هذا البيت أنواع من المجاز ثم كناية عن المعنى المقصود وهو يريد أن طائره أبيض الرأس كأنه يلبس قلنسوة بيضاء كالعذارى الراهبات المنقطعات لخدمة الهيكل

(٤) الشجي المشغول والخلى والخالي من الهم

(٥) الحليف كل شيء لزم شيئاً آخر فلم يفارقه السهد الأرق وعدم النوم. يتخلى يمضي

(6) ما تعالج أي ما تزاول وتمارس والمراد بالنحاس المقفل القفص الذي حبس فيه الطائر

(٧) الجواد الكريم. المجزل المكثر من العطاء

(٨) النضار الذهب. المجلل المغطى

(٩) السوسن بفتح السين الأولى وضمها نبات طيب الرائحة

وحرقــتُ أزكــى العــودِ حــو ... لَيــــه وأغلـــى الصَّـــندل

وحملتُـــه فـــوقَ العيـــو ... نِ وفـــوق رأس الجـــدول[1]

ودعـــوتُ كـــل أغـــرَّ في ... مُلـــك الطيـــورِ محجَّـــل

فأتتـــك بـــين مُطـــارحٍ ... ومحبِّـــذٍ ومـــدلَّل[2]

وأمـــرت بابـــني فالتقـــا ... كَ بوجهـــه المتهلِّـــل[3]

بيمينـــه فـــالوذَجٌ ... لم يُهـــدَ (للمتوكـــل)[4]

وزُجاجـــةٌ مـــن فضـــة ... مملـــوءةٌ مـــن سَلســـل[5]

ما كنتُ يا (صداحُ) عندكَ بالكريم المُفْضِل

شُـــهْدُ الحيـــاةِ مشـــوبةً ... بالـــرق مثـــلُ الحنظـــل[6]

والقيـــدُ لـــو كـــان الجمـــا ... نَ منظمـــاً لم يُحمَـــل[7]

يا طـــيرُ لـــولا أن يقـــو ... لـــوا جُـــنَّ قلـــتُ تعقـــل

اسمـــع فـــربَّ مفصَّـــل ... لـــك لم يفـــدك كمجمِـــل

صـــبراً لمـــا تشـــقى بـــه ... أو مـــا بـــدا لـــك فافعـــل

---

(١) العيون هنا عيون الماء الجدول النهر الصغير

(٢) المدلل بفتح اللام المرفه

(٣) المتهلل المتلألئ

(٤) الفالوذج حلواء من دقيق وعسل وماء. المتوكل أحد الخلفاء العباسيين

(٥) السلسل الخمر اللينة

(٦) الشهد بضم الشين وفتح الهاء جمع شهدة كغرفة وغرف هي العسل

(٧) الجمان اللؤلؤ

أنت ابنُ رأي للطبيعة فيك غير مبدَّل

أبـــــداً مـــــروعٌ بالإِســـــا رِ مهـــــــدَّدٌ بالمقتـــــــل[1]

إن طـــــرتَ عـــــن كنفـــــي وقعـــــتَ علـــــى النســـــور الجهَّـــــل[2]

يا طـــــــيرُ والأمثـــــــالُ تضـــــــربُ للبيـــــــبِ الأمثـــــــل[3]

دنيـــــاك مـــــن عاداتِهـــــا ألاَّ تكـــــونَ لأعـــــزل[4]

أو للغبي وإِن تعْلَل بالزمان المقبل

جُعِلـــــت لحـــــر يُبتَلـــــى في ذي الحيـــــاةِ ويبتَلـــــى

يَرْمِـــــي ويُرمَـــــى في جهـــــا دِ العـــــيشِ غـــــيرَ مغفَّـــــل

مســـــتجمعٍ كالليـــــثِ إن يُجهـــــل عليـــــه يَجهـــــل[5]

أسمعـــــت بالحكَمَـــــيْن في ال إســـــلام يـــــوم (الجُنـــــدلِ)[6]

في الفتنـــــة الكُـــــبرى ولـــــو لا حكمـــــةٌ لم تُشـــــعَل[7]

رضـــــي الصـــــحابةُ يـــــوم ذ لـــــك بالكتـــــاب المُنـــــزل[1]

---

(١) الاسار الأسر

(٢) الكنف الجانب والناحية

(٣) الأمثل الأفضل

(٤) الأعزل من لا سلاح عنده

(٥) المستجمع من يبذل غاية إمكانه. يجهل عليه يتسافه عليه

(٦) الحكمان هما أبو موسى الأشعري ارتضاه الإمام علي حكماً له وعمرو ابن العاص اختاره معاوية حكماً له وقصة هذا التحكيم مشهورة، يوم الجندل هو أحد أيام الحرب بين علي ومعاوية والجندل اسم مكان

(٧) ولولا حكمة أي ولولا حكمة أرادها الله تعالى لم تشعل تلك الفتنة

وهـــم المصـــابيحُ الـــروا ةُ عـــن النـــبي المرسَـــل

قالوا الكتابُ وقام كُلْلُ مفَسِّر ومؤوَّل

حـــتى إذا وســـعت (معـــا ويـــةً) وضـــاق بهـــا (علـــي)[٢]

رجَعـــوا لظلـــم كالطبـــا ئـــعِ في النفـــوس مؤصَّـــل

نزلـــوا علـــى حكـــمِ القـــو يّ وعنـــد رأي الأحيَـــل[٣]

صـــدَّاح حـــقٌ مـــا أقـــو ل حفِلـــتَ أم لم تحفـــل

جـــاورتَ أنـــدى روضـــةٍ وحللـــتَ أكـــرم منـــزل

بين الحفاوةِ من (حُسين) والرعايةِ من (علي)

وحنانِ (آمنةٍ) كأمك في صباكَ الأول[٤]

صـــحْ بالصـــباح وبشـــر ال أبنـــــاء بالمســـــتقبل

واســـأل لمصَـــر عنايـــةً تأتي وتهـــبط مـــن عَـــل

قـــل ربَّنـــا افـــتح رحمـــةً والخـــيرَ منـــك فأرســـل

أدرك كنانَتك الكريمةَ ربنا وتقبل

---

(١) رضى الصحابة الخ وذلك أن أصحاب معاوية لما رأوا أن الهزيمة ستكون لهم رفعوا المصاحف على أطراف الأسنة ونادوا عليا وأصحابه أن ينزلوا وإياهم على كتاب الله فأمر علي أصحابه أن يكفوا عن الحرب

(٢) حتى إذا وسعت معاوية أي حتى إذا وسعت ولاية الأمر معاوية بسبب

(٣) الاحيل الأكثر حيلة

(٤) حسين وعلي وآمنة وأبناؤه

رومة

نظمت هذه القصيدة في فاتحة سنة ١٩٠٠ على إثر زيارته لهذه المدينة

قف بروما وشاهد الأمرَ واشهد ... أن للملـــكِ مالكـــاً ســـبحانهْ

دولـةٌ في الثَّـرى وأنقـاضُ مُلـكٍ ... هـــدمَ الـــدهر في العَـــلاَ بنيانـــه[١]

مَزقـت تاجَـه الخطـوبُ وألقـت ... في الـــتراب الـــذي أرى صـــولجَانَه[٢]

طلـلٌ عنـد دمنـةٍ عنـد رسـمٍ ... ككتـــاب محـــا الـــبِلاَ عُنوانَـــه[٣]

وتماثيـــلُ كالحقـــائقِ تـــزدا ... دُ وضـــوحاً علـــى المـــدى وإبانَـــه[٤]

من رآها يقولُ هذي ملوكُ الدهرِ، هذا وقارُهم والرزانَه[٥]

وبقـــايا هياكـــلٍ وقصـــورٍ ... بـــين أخِـــذ البِلـــى ودَفـــعِ المتانَـــه[٦]

عبـثَ الـدهرُ بالحـواريّ فيهـا ... و"بيليـــوسَ" لم يَهـــب أرجوانَـــه[٧]

---

(١) الثرى التراب. الأنقاض جمع نقض بضم النون وهو ما انتقض من البنيان. العلا الرفعة والشرف

(٢) الصولجان هو المحجن وهو عصا منعطفة الرأس

(٣) الطلل ما شخص من آثار الديار. الدمنة آثار الديار أيضاً. الرسم ما كان لاحقاً بالأرض من آثار الدار

(٤) تماثيل جمع تمثال بكسر التاء. الإبانة الإيضاح

(٥) الوقار والرزانة بمعنى واحد وهو الحلم والعظمة

(٦) هياكل جمع هيكل وهو هنا إما البناء المرتفع وإما بيت الأصنام

(٧) الحواري الناصر والناصح أيضاً. بليوس هو بليوس قيصر أحد قياصرة الرومان الأقدمين. الأرجوان صبغ أحمر وقيل هو الحمرة من الألوان والمراد به هنا الدم لحمرته كناية عن القوة التي يستحل صاحبها سفك الدماء

وجـرت هـا هنـا أمـورٌ كبـارٌ واصـــلَ الـــدهرُ بعـــدها جَريَانَـــه

رُاح ديـــنٌ وجـــاء ديـــنٌ ووَلَّى ملـكُ قـومٍ وحـلَّ ملـكٌ مكانَـه[1]

والـذي حصَّـلَ المجـدون إهـرا قُ دمـــاءٍ خليقـــةٍ بالصـــيانَه[2]

ليـتَ شـعري إلامَ يقتتـل النـا سُ عَلَـــى ذي الدَّنِيَّـــةِ الفتانَـــه[3]

عـالمٌ قُلَّـبٌ وأحـلامُ خَلـقٍ تتبـــارى غبـــاوةً وفطانـــة[4]

روِمة الزَّهوِ في الشرائعِ، والحكمةِ في الحُكم، والهوى والمجانَه[5]

والتَّنـاهي فمـا تعـدَّي عزيـزاً فيـكِ عـزٌّ ولا مَهينـاً مَهانَـه[6]

مـا لحـيٍّ لم يُمـس منـكِ قبيـلٌ أو بـــلادٌ يعـــدها أوطانَـــه[7]

يصبحُ النـاسُ فيك مولىً وعبداً ويـرى عبـدُكِ الـورى غِلمانـه[8]

---

(١) راح دين ذهب وهو دين الرومان قبل النصرانية وجاء دين وهو النصرانية. وولى ملك الرومان الأقدمين وحل مكانه ملك الغالبين بعد ذلك التاريخ

(٢) والذي حصل المجدون الخ أي أن أولئك الذين سعوا بالحرب والقتال ليحلوا في رومة ديناً بدل دين ويقيموا ملكا جديداً على أنقاض ملك ذاهب لم يجنوا من ذلك كله ثمرة إلا إراقة دماء البشر التي تستحق الصيانة والحفظ

(٣) المدنية الفتانة هي الدنيا

(٤) القلب بتشديد اللام المحتال

(٥) الزهو المنظر الحسن والكبر التيه والفخر. المجانة الهزل

(٦) التناهي بلوغ النهاية. فما تعدى عزيزاً الخ أي أنك بلغت النهاية في كل شيء فمن كان فيك عزيزاً لم يفته شيء من أسباب العز ومن كان مهيناً لم يفته شيء من موجبات المهانة

(٧) أي لم يكن لغير أهلك عشيرة يعبرون بها ولا بلاد يتخذونها وطناً يلجئون إليه لأنك أسقطت العشائر والعصبيات وغلبت الجميع على أوطانهم

(٨) يصبح الناس فيك الخ يعني أن أهلك كانوا سادة وعبيداً وكان للعبيد على الأجانب عز السادة وسلطانهم

أينَ مُلكٌ في الشرقِ والغربِ عالٍ تحسُد الشمسُ في الضُّحى سلطانه؟١

قــادرٌ يمســخُ الممالــكَ أعمــا لاً ويعطـــي وســـيعَها أعوانَـــه٢

أيـــن مـــالٌ جَبيتـــهِ ورعـــايا كلَّهـــم خـــازنٌ وأنـــتِ الخزانـــة؟٣

أين أشرافُكِ الذين طغَوا في الدهرِ حتى أذاقَهم طُغيانه؟٤

أيْـنَ قاضـيكِ؟ مـا أناخَ عليـه؟ أيـنَ ناديـكِ؟ مـا دهـا شِـيخانه؟٥

قــد رأينــا عليــكِ آثارَ حــزنٍ ومـــن الـــدور مـــا تَـــرى أحزانَـــه

اقصِري واسألي عن الدهر مصراً هــل قضــت مــرتين منــه اللَّبانَــه٦

إن مـــن فـــرَّقَ العبـــادَ شُـــعوباً جعـــلَ القِســـط بينهـــا ميزانَـــه٧

هَبْـكِ أفنَيـتِ بالحـدادِ الليـالي لــن تَــردى عَلَــى الــورَى رومانَــه٨

---

(٩) سلطانه قوته

(١) قادر وصف للملك في البيت المتقدم. يمسخ الممالك أعمالا أي يحولها أعمالا والأعمال ما يكون من البلاد تحت حكم المملكة ومضافا إليها

(٢) جبينه جمعته

(٣) الأشراف جمع شريف وكانت في رومة لعهدها القديم طائفة الأشراف تسودت على من عداها ونشأ بذلك في الشعب فريقان منفصلان هما فريق السادة المسيطرين وفريق العامة المسخرين

(٤) أين ناديك المراد به دار ندوة الرومان وكانت هي ما نسميه الآن في النظم الدستورية مجلس الشيوخ، ما دهى ما أصاب. شيخانه جمع شيخ وهو الرجل تتألف منه ومن سواه جماعة المجلس

(٥) اقصري أي انتهي عند هذا الحد وامسكي عن الاسترسال. اللبانة الحاجة

(٦) القسط العدل

(٧) هبك اسم فعل أي افرضي أنك أفنيت الخ

بنك مصر

ألقيت هذه القصيدة بدار الأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠ احتفالاً بإنشاء بنك مصر

قِـفْ بالممالـكِ وانظـرْ دولَـةَ المـالِ ... واذكـــرْ رجـــالاً أدالوهـــا بإجمـــال

وانقـلْ ركـابَ القـوافِي في جوانبِهـا ... لا في جوانـب رسِـم المنـزلِ البـالي

مـا هيكـلُ الهـرَم الجيـزِيّ مـن ذهـبٍ ... في العـين أزيـن مـن بنيانِهـا الحـالي

عـلا بهـا الحـرصُ أركـاناً وأخرجَهـا ... عَلَـى مِثـالٍ مـن الـدنيا ومِنـوال

فيهـا الشـقاء لقـومٍ والنعـيمُ لهـم ... وبـؤسُ سـاعٍ ونُعمَـى قاعـدٍ سـال

والمـالُ مُـذْ كـان تمثـالٌ يُطـافُ بـه ... والنـاسُ مـذ خُلِقـوا عبـادُ تمثـال

إذا جفـا الـدورَ فـانعِ النـازلين بهـا ... أو الممالـــكَ فانـــدبْها كـــأطلال

يا طالبـاً لمعـالي الملـك مجتهـداً ... خُذْها من العلم أو خُذْها من المال

بالعلـمِ والمـالِ يبـني النـاسُ مُلكَهـمُ ... لم يُـبنَ ملـك عَلَـى جَهْـلٍ وإقـلال

سُـراةَ مصـرَ عهـدناكم إذا بُسـطتْ ... يـدُ الـدعاءِ سـراعاً غـيرَ بُخـال

تبينَ الصـدقُ مـن مينِ الأمـور لكـم ... فامضـوا إلى المـاء لا تَلـوُوا علـى الآل[1]

لا يـذهب الـدهرُ بين الترهاتِ بكـم ... وبـين زهـرٍ مـن الأحـلام قتَّـال

هاتوا الرجالَ وهاتوا المالَ واحتشدوا ... رأياً لـــرأيٍ ومثقـــالاً لمثقـــال

هـذا هـو الحجَـرُ الـدرِّيُّ بينكمـو ... فـابنوا بِنـاءَ قـريشٍ بيتَهـا العـالي

---

(١) الآل السراب

دارٌ إذا نزلــتْ فيهــا ودائعكــم أودعـتم الحـبّ أرضـاً ذاتَ إغـلال

آمـالُ مصـرَ إليهـا طالمـا طمحـتْ هـل تبخلـونَ عَلَـى مصـرٍ بآمـال؟

فـابنوا عَلَـى بركـاتِ اللهِ واغتنمـوا مــا هيــأ الله مــن حــظٍّ وإقبــال

الفهرس

مقدمة ٥
العلم والتعليم ١٥
وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ ٢٠
هذي المحاسنُ ما خلفتَ لِبرُقُع ٢٨
سلوا قلبي ٣١
بطل الصحراء ٣٦
نهج البردة ٣٩
سَأَلوني لِمَ لَمَ أَرثِ أَبي ٥٠
في رثاء تولُستويُ ٥٢
منظر طلوع البدر ٥٥
رحلة إلى الأندلس ٥٧
عظات وخواطر ٦٧
بعد المنفى ٧١
أيها العمال ٧٦
الصحافة ٧٨
ذكرى كارنارفون ٨٠
مملكة النحل ٨٤
توت عنخ آمون ٨٩

مصر تجدد مجدها ٩٦
على سفح الأهرام ١٠٠
مُحَمَّد علي باشا الكبير ١٠٢
الانقلاب العثماني ١٠٦
طوكيو ١١٣
أبو الهول ١١٦
على قبر نابليون ١٢٨
بين الحجاب والسفور ١٣٦
رومة ١٤١
بنك مصر ١٤٤